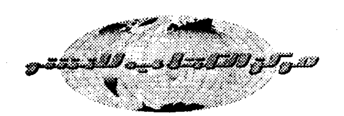
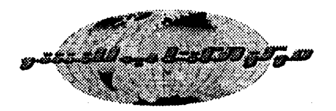
الحوار
آدابه وأهدافه

الشيخ
منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن (سابقاً)

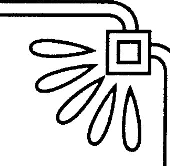
الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨
http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

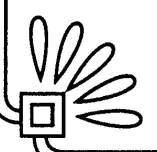
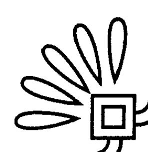



الإهداء

إلى الباحثين عن الحق والحقيقة .. إلى مَنْ يريدون نشر الخير وتعميمه .. إلى الشباب والدارسين .. إلى الآباء والأمهات نقدم هذا العمل لخلق جو صحي نتنفس فيه الهواء النقي .. ونحل مشاكلنا بهدوء .. ونبعد عن أنفسنا التوتر العصبي .. عندما يكون الحوار وسيلتنا إلى التفاهم .. وهدفنا لمعرفة الحقيقة .. أقدم هذا العمل ليكون مرآة صادقة للجميع .. وأهديه إليهم .

منصور الرفاعي عبيد

عضو اتحاد الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله . . الذى خلق الإنسان علّمه البيان . . وألهمه النطق باللسان ليعبِّر به عن خواطره . . وما يجيش فى صدره . . وصدق مَنْ قال:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا

وأشهد ألا إله إلاّ الله وجّه الإنسان إلى أن يتعلم . . وعلّمه . . أنه فوق كل ذى علم عليم . . ونبّههُ إلى أن يُحصِّل العلم والمعرفة وحدّد له ذلك فى القرآن حيث قال : ﴿ .. **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** (٤٣) ﴾[النحل] . وعلى الإنسان وهو يطلب العلم ويُحصِّله أن يكون غرضه وهدفه . . إسعاد نفسه . . وخدمة المجتمع البشرى . . فالغاية إذاً من تحصيل العلم . . للّه . . وفى سبيل اللّه . . إذا كانت هذه الغاية فالفوز والنجاح يلازمان الإنسان لأنه مَنْ يتوكل على اللّه فهو حسبه . . من أجل ذلك كانت الآيات الأولى فى الوحى الإلهى تُنبِّهُ كل إنسان إلى أن يتعلم القراءة والكتابة وأن يكون هذا التعلم لغاية عظيمة هى (باسم الرب) الذى له الأمر فقال سبحانه فى أول آيات تخاطب سمع الدينا ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (١) **خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** (٢) **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** (٣) **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** (٤) **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** (٥) ﴾[العلق] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله . . آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب وعلّمه ما لم يكن يعلم . . رغم أنه كان أُمّيًا لم يتعلم القراءة . . ولم يعرف الكتابة . . ومع ذلك قاد الدنيا كلها بالعلم . . وحرر العقول من الجهل . . وسما بالإنسانية فى مدارج الكمال النفسى . . والسمو الروحى . . وقال الله له فى ذلك : ﴿ .. **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** (١١٣) ﴾[النساء] . . لقد كان العرب أهل فصاحة وبلاغة وبيان . . ومع أن

محمداً ﷺ لم يكن شاعراً . . ولم يكن خطيباً فى محافل القوم وأنديتهم . . ولم يكن كاهناً ولا عرّافاً . . ومع أنه كان أُمياً . . لكن القرآن الذى نزل عليه . . بهر العرب بأسلوبه . . وأعجز الفصحاء والبلغاء وحير الشعراء وأخرس الكُهَّان . . لأن القرآن الكريم . . له حلاوة وعليه طلاوة وأعلاه مثمر وأسفله مغدق . . فيه نبأ مَنْ قبلنا . . وخبر ما بعدنا . . لا يَمَلُّ قارؤه ولا يخلق من كثرة الرد . . ولقد يَسَّره اللَّه لكل قارئ . . وألهم معانيه لكل من يقرأ فيه بصدق نية . . وعقيدة ثابتة . . لهذا يقول الله تعالى عن هذا القرآن : ﴿ . . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود] .

إن القرآن عندما نزل على النبى العظيم وسمعه العرب سُحروا ببلاغته . . وأُخذوا بروعته وأعجبهم أسلوبه فى الحوار والمناقشة . . وهو أسلوب لم يعرفوه من قبل لذلك وقفوا مبهورين أمام القرآن وقالوا . . بأن محمداً لا معرفة لديه ولا علم عنده فمن أين جاء بهذا ؟ ولقد قصَّ القرآن علينا كلامهم هذا فى قوله سبحانه : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[العنكبوت] . . ولما عجز العرب عن تفسير هذه الظاهرة التى حيَّرتهم وألجمتهم الحُجَّة . . لأن القرآن الذى يتلوه محمداً أكّد على أنه أُمى . . فكيف ينزل عليه هذا القرآن البليغ المعجز الفصيح الواضح . . تمادى العرب فى غيِّهم . . وأصروا واستكبروا استكباراً . . فى تماديهم فى الغى والجحود قالوا: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ فكان ردُّه عليهم . . ﴿ . . .قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[يونس] .

إن العرب والقرآن الكريم يتتبعهم ويكشف سترهم ويفضح ما يُبيِّتون به بالليل لجأوا إلى حجج واهية يُموّهون بها على الناس وقالوا بأن القرآن ليس من عند الله ولا من عند محمد . . وإنما محمد جاء برجل أعجمى وأجلسه فى بيته ومحمد يسمع منه حكايات السابقين وأخبار الأمم الماضية ومحمد يسمع منه باللغة الأعجمية ويترجم إلى العربية ما يسمعه . . وهم كذابون فى ذلك لأنهم يعلمون تمام العلم أن محمدا لم

يتعلم القراءة ولا الكتابة وإذا كان لم يتعلم القراءة ولا الكتابة فكيف تعلم الترجمة وأين؟ ولذلك ردّ عليهم القرآن وأبطل دعواهم فى ذلك فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[النحل].

لقد كان العرب يتخبطون فى آرائهم ولما لم يصلوا إلى حل يرضيهم قالوا بأن محمداً ساحر .. وهذا أسلوب العاجز .. وذهب المشركون .. الذين عارضوا القرآن وبقى القرآن فى نفوس المسلمين وعلى ألسنتهم يخاطبون به الدنيا بأسرها ويجدون فيه لكل مشكلة حلاً .. وله فى كل قضية رأياً .. وصدق الله العظيم: ﴿ ...... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل] .. أما الكافرون الذين أنكروا القرآن فقد قال الله عنهم: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[يونس] ..

هذا هو القرآن الذى علّم الناس أدب الحوار وبيّن لنا فى الكثير من آياته أساليب رائعة فى الحوار .. وكان النبى ﷺ مُبلِّغُ هذا القرآن يحاور الناس بالرفق والحكمة الطيبة .. ومع أنه ﷺ أحياناً كان يضيق صدره بإعراض الناس عنه.. واستخفافهم به إلاّ أن اللّه كان يأمره بالصبر ويقـول لـه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر] .. لكن يا محمـد ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل] ..

ويقول له كذلك ﴿ .. فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الحجر] ولقد علَّم الرسول ﷺ الإنسانية بما علَّمه اللَّه .. وعاش الصحابة من حوله يأخذون عنه .. ويتعلمون منه أن الحوار أفضل وسيلة للإقناع .. لأن الدعوة الإسلامية تقوم على (حوار .. لا .. صراع) وتفاهم بالحسنى .. وإقناع بالحجة .. لأن الناس جميعاً إخوة وكل شخص عنده عقل .. وكل فرد مُخيّر .. وله أن يختار الطريق الذى يسير فيه والناس يتعاونون ولا يتنافرون.

ولقد رأيت أن أسهم بهذا الفكر حول . . الحوار . . وأهدافه . . وأُبيِّن أن الإسلام لا يحب استعمال السيف أبداً ولا يميل إلى الإرهاب . . لا يقر العنف والدليل على ذلك أن المسلمين عاشوا فى مكة ثلاثة عشرة سنة (١٣ سنة) تمتد إليهم أيدى الكفار بالأذى والتعذيب . . والرسول ﷺ الذى عاش بين العرب وعرفوه بأنه صادق وأمين وعلى جانب عظيم من المروءة ومكارم الأخلاق ونُبل العادات . . يصل الرحم . . ويساعد الضعيف . . ويساند الغريب . . ويقف مع المظلوم ويُعين على نوائب الزمن . . وشخص هذه صفاته . . وقد جاء قومه بعز الدنيا وفلاح الآخرة . . ومع كل هذا . . لم يسلم من أذى المشركين . . بل حاصروه محاصرة سياسية واقتصادية واجتماعية حتى كاد أن يهلك هو ومَنْ معه ومع ذلك كان دائماً يناديهم ويقول لهم : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾[غافر] . . ويقول لهم أيضاً : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ . . ﴿٤٤﴾ ﴾[غافر] . وبعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد السنين التى ذاق فيها هو والمسلمون أصنافاً من العذاب وألواناً من التعذيب . . وتجرد المشركون من عواطفهم الإنسانية ونسى الرسول ﷺ هذه الفترة من حياتهم وبدأوا يمارسون شعائر دينهم فى أمن وأمان . . لكن المشركين لم يسكتوا بل خرجوا بطراً ورياء الناس وغرضهم قتل محمد ومَنْ معه والقضاء على الإسلام وإزالة دولته . . ولكن

هـم يمكرون وعنـد الله ما مـكروا   دعهم يشيدوا على الأمواج صرح منىً

وكان المشركون يريدون كما يقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الصف] . . ويتبين لنا من مطالعتنا للتاريخ أن المسلمين فى كل العصور لم يرفعوا السلاح إلا للدفاع عن أنفسهم ودينهم وأوطانهم وأعراضهم . . أما الحوار فكان دأبهم دائماً وأبداً ولذلك اهتم القرآن بإبراز هذا الجانب الحوارى فى كل رسالات الأنبياء ليكون الدليل أمام الناس جميعاً أن الحوار هو الأصل الذى يجب أن يقوم به الناس جميعاً مع بعضهم فى كل شأن من شئون حياتهم

والكتاب الذى بين يديك يدور عن الحوار وكيف نعلّمه لأطفالنا منذ الصغر وندربهم عليه فى مراحل العمر المتفاوتة . . ونغرس فيهم آدابه وقيمه ونفرق بين الحوار والاختلاف . . والصراع والجدل . . والشقاق والمناظرة ليكون أولادنا على بيِّنة بالأمر مع التوضيح أن الحضارات تتحاور ولا تتصارع وأن هذا هو الهدف المنشود الذى نعمل جميعاً من أجل إبرازه.

وهذا الكتاب به خمسة فصول . . كل فصل له هدف مميز . . وغاية نصل إليها ليتكامل الموضوع أمام القارئ . . وتعم الفائدة . . ويكون الانتفاع به فيما قصدناه . . والله وليِّى . . وهو حسبى . . ومُعينى . . عليه توكلت . . ومنه ابتغى الأجر . . وأسأله سبحانه . . أن يحقق لى الغاية التى أرجوها من وراء نشر هذا الفكر.

وصلِّ الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين . . وعلى مَنْ سار على دربهم . . وسلِّم تسليماً كثيراً . .

منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف
للمساجد وشئون القرآن سابقاً



الفصل الأول

البداية

الفصل الأول
البداية

لكى يتدرب الإنسان على أسلوب الحوار فأمامه مراحل هى التى تُصقل موهبته ليتمرس على الحوار . . أهم هذه المراحل هى:

١ - **الأسرة :** فهى المدرسة الأولى التى تعلم الطفل الكلام . . ومن توجيهات رسول الله ﷺ: «افتحوا على صبيانكم بلا إله إلاّ الله» أى أن الصبى (الذكر أو الأنثى) عندما يبدأ يردِّد بعض الحروف على الأب أو الأم أن يقوما بتلقين الطفل . . لا إله إلاّ اللّه . . وهنا يبدأ الطفل فى محاكاة الأب . . لهذا . . فإن لغة التخاطب هى لغة الحوار الرئيسية . . وكلما كَبُرَ الطفل كلما بدأ يتكلم ويسأل ويحتاج الإجابة . . والأب عليه أن يدرب ولده أو ابنته . . على أسلوب الحوار كأن يوجه السؤال الآتى للطفل. . عملت إيه النهارده ؟ فيجيب الطفل . . عملت كذا وكذا . . فيقول الأب. . لو عملت كذا كمان كان أحسن. والأم تسأل أولادها . . ماذا تأكلون على الغذاء؟ فيرد أحد الأبناء . . نأكل كذا . . فيرد الثانى يقول . . نأكل كذا . . فيرد الثالث. . وهكذا يدور الحوار والأم فى النهاية تقول رأيها وتبرره أمام أولادها ليقتنعوا. . وهكذا يتدرب الطفل من صغر سِنِّه على المشاركة فى الحوار ثم فى صنع القرار الذى يتخذ داخل الأسرة . . فالأسرة إذاً هى المكان الأول الذى يتدرب فيه الطفل على أسلوب الحوار. . لهذا كان الدور الأكبر فى صنع شخصية الإنسان. . وتدريبه على الحوار (الأسرة) ويكبر الولد أو البنت ويدور الحوار دائماً مع الآباء . . عن دخل الأسرة والتخطيط لمواءمة الدخل مع متطلبات الحياة ومناقشة ميزانية الأسرة والانتقال من حى إلى حى . . وتغيير نظام الحجرات إلى غير ذلك مما يجرى داخل الأسرة التى يجرى فيها ما نُسميِّه (بالنقاش) وباللغة الدارجة ثم على الآباء الترقى باللغة واختيار الألفاظ السهلة . . ولاشك أن الحوار فى داخل الأسرة يهدف إلى

تنشيط المعلومات وتحديثها . . وأهم من ذلك نقل تجارب الكبار فى الميدان العملى إلى ذهن الصغار وهنا ينشأ الطفل ولديه خبرة مُسبَّقة عن الحوار . . إن الأسرة هى أساس المجتمع . . والآباء هم القدوة والمثل الأعلى للأبناء . . ولقد أوصى الإسلام الأبناء بالآباء خيراً . . أما الآباء نحو الأبناء فإن الفطرة تلعب دوراً كبيراً فى أن الآباء يحبون الأبناء حباً شديداً وتلك حكمة الله تبارك وتعالى أن أوجد فى قلوب الآباء هذه العاطفة . . كما أن الشعراء قالوا :

أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض

ولما كانت الأم هى الحاضنة للأبناء ودورها مهم قالوا عنها :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

والأولاد زينة الحياة وبهجتها ولهذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . .** ﴿٤٦﴾ ﴾[**الكهف**] . . والأبناء قرة عين للآباء فى الدنيا ومصدر سعادة لهم فى الآخرة إن كانوا صالحين . . فالحق سبحانه وتعالى يقول بأن من دعاء الصالحين قولهم : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾ ﴾[**الفرقان**] . . والإنسان العاقل دائماً يتمنى لأولاده أن يتفوقوا حتى عليه . . وكل خير يصيبه الآباء يتمنى الواحد منهم أن يحظى به أولاده . . وقد ذكر لنا القرآن ذلك فى قول الحق سبحانه : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴿١٢٤﴾ ﴾[**البقرة**] . . إذا كان هذا الحب الطبيعى من الآباء للأبناء ووصية الله المتكررة فى القرآن الكريم للأبناء أن يحبوا الآباء ويحترموهم لأن ذلك يؤدى إلى قيام أسر متماسكة وعائلات مترابطة يعيشون فى سعادة دائمة فيؤدى ذلك إلى مجتمع متماسك ينتج وتزدهر حضارته . . لكن بدأت تظهر فى الآونة الأخيرة . . أن بعض الآباء يقتلون الأبناء . . كما أن بعض الأبناء يقتلون الآباء . . والأحداث متباينة فى هذا النمط والجرائم متنوعة بين أفراد الأسرة الواحدة وهى أحداث فى طور النمو ولكن علينا أن نراقبها باهتمام بالغ . . لأن الأسرة هى حصن الأمة ضد مزالق

الانحراف ومخاطر التمزق والانحلال . . ولقد عاش المجتمع الشرقى وهو لا يعرف مثل هذه الحوادث إلاّ أنها بدأت تنمو كظاهرة اجتماعية أخذت تتفلت من الضوابط الشرعية وتبتعد عن مفهوم (الطاعة للّه والانتماء للأسرة والولاء للمجتمع) لينخرط الجميع بعد ذلك فى مفاهيم مادية قريبة من المجتمع الغربى الذى يعطى الأولوية للأمور المادية لتصبح فى ذاتها المرجعية الأخلاقية للمجتمع . . والنتيجة . . إهدار قيم الترابط الأسرى . . وتفكك الروابط العائلية والدخول فى المعايير النفعية البحتة . . الأمر الذى دفع بالأسرة أن أصبحت يَعمُّها الخصام . . والتفكك . . وكل فرد يريد أن يتخلص من الآخر . . لذلك تحوّلت بعض العائلات إلى (ساحة قتال) فالزوج يحاول أن يتخلص من زوجته . . والزوجة كذلك . . وبعض الآباء يحاولون التخلص من أبنائهم بالموت أو الضرب . . وأصبح العنف العائلى هو السمة السائدة داخل الأسرة . . وبالتحليل لهذه الأحداث يتبين أن وراء ذلك أسباب أهمها:

١ - انفصام الشخصية . . والصراع النفسى الناتج من الشك وسوء الظن . . والاستماع إلى أقوال السفهاء من الناس.

٢ - الزحام هنا وهناك . . وقد أدى ذلك إلى التلوث البيئى . . والتلوث الضوضائى . . والتوتر العصبى.

٣ - التحول فى شكل الأسرة وبنائها الهرمى وقد حدث ذلك نتيجة عدم قدرتها فى الحصول على المال . . لقلة الدخل والشعور بالفقر . . والإحساس بالإحباط علاوة على التفاوت الطبقى الملحوظ عند بعض الأسر ونتج ذلك عن البطالة التى تفشت فى المجتمع . . والإعلام غير المدرك للأمور.

إن الأب وبلا شك يمثل القوة الاقتصادية الوحيدة فى الأسرة . . هذا المنظور الاجتماعى قد بدأ يتغيَّر الآن . . لأن الزوجة بدأت تعمل . . وبعض الأبناء كذلك . . الأمر الذى جعل الأب (فى بعض الأمور) هو أضعف قوة اقتصادية . . لهذا أصبح الأب لا يقوم بدور القيادة نتيجة قلة دخله . . ومع ذلك فهو يرفض التنازل عن دوره . . ومن هنا بدأ الصراع فى داخل الأسرة . . ساعد على ذلك . . الانفتاح

الإعلامى والاستهلاكى والبعد عن الدين. . وسوء الحالة الاقتصادية . . وسوء التربية. . وشيوع المخدرات وتهميش دور الأب . . وكان لذلك أثر على فقر الجيب. . وفقر الأخلاق. . وهما يجعلان الإنسان غريباً فى وطنه . . وهذه الغربة ليست غربة الأرض فقط ولكنها غربة عن الأدب الاجتماعى . . والقيم الدينية. . ذلك لأن الذين يعيشون فى مناخ المظالم الاجتماعية من الصعب عليهم أن يتخلقوا بالأخلاق السامية والآداب العالية . . إن ظاهرة العنف الأسرى من الظواهر المركبة فى أسبابها . . وأهم الأسباب غياب (الحوار) داخل الأسرة حيث تحول الأمر إلى صراع واتهام كل طرف للآخر بأنه المسئول عما يحدث . . ولقد أدى هذا الصراع بين الكبار فَصَرَفَهم عن الاهتمام بالأبناء ولم يهتم أحد من الآباء بحل مشاكل الأبناء. . ويوماً بعد يوم تتضخم مشكلات الأبناء. . فيلجأ الأبناء إلى الانحراف . . فالتطرف. . فإدمان المخدرات. . لأن بعض الآباء يلجأ إلى ضرب الابن وطرده وهذا يضخم المشكلة ولا يحلُّها . . لأنه فى الخارج من يتلقف الابن ويعطف عليه ويسخره فى أعمال غير مشروعة . . لذلك نحن نضع قاعدة لحل هذه المشكلات وننادى على الآباء ونقول لهم . . اعلموا . . أن الأبناء ثروة وعزوة وأعظم رصيد تدخره لنفسك. . وأن أفضل تنمية لهذه الثروة هو التربية ولذلك فإن الأب والأم عليهما دور كبير فى تهيئة المناخ الاجتماعى النظيف للأسرة ويبدأ ذلك من:

١ - عدم المشاجرة أمام الأطفال . . وعدم الصراخ والعويل والاتهام المتبادل بين الآباء . . ونحن نعلم أن الخلاف فى الحياة أمر طبيعى . . لكن خلاف الآباء والعتاب بينهما يجب أن يكون فى حجرة مغلقة وبصوت منخفض حتى لا يعرف الأبناء بهذا الخلاف.

٢ - إن على الآباء أن يلتقيا مع الأبناء فى جو عائلى ملىء بالعواطف الطيبة حول مائدة طعام مرة كل يوم وخلال هذه الجلسة تُناقش المشكلات ويشرك الآباء الأبناء معهم فى الحوار فى جو ملئ بالحب والحنان. .

٣ - على الآباء الذين يُسافرون للخارج . . ألا يغيبوا عن أولادهم أكثر من سنة بعدها يعودون لأبنائهم فى أجازة ولو عشرة أيام وعلى الأب أن يقضى أوقاته كلها خلال فترة الأجازة مع أولاده يناقشهم ويتعرف على أصدقائهم ويحاورهم فى أسلوبهم فى تحصيل العلم والثقافة وغير ذلك . . ويأخذهم طوال مدة الأجازة إلى المساجد ويصوم يوما ويأمرهم بصيامه ويجلسون مع بعضهم آخر النهار.

٤ - لا شك أن المنزل به التلفاز . . والفيديو . . والإنترنت. . وكاميرات التصوير . . والراديو . . وغير ذلك من كل شيء مستحدث فعلى الأب والأم أن يُعرِّفا الأولاد بأن هذه الأشياء لا تخلق إنساناً عالماً لأنها أشياء مادية والتعامل معها بكثرة يضر الإنسان صحياً ويتلفه عقلياً . . ويؤثر على علاقاته الاجتماعية بالآخرين. . والإنسان لا يلغى عقله والتعامل مع هذه الأشياء يكون على فترات وبعد المذاكرة وأتحكم فيها ولا تتحكم هى فى مع إيمانى بأن الوقت كالسيف والواجبات أكثر من الأوقات.

إن المال ليس كل شيء فى حياة الناس. . لذلك على الأب والأم أن ينتبها جيداً إلى أن الأمور المادية ليست كل شيء . . وإنما الأولاد هم الثروة والكنز والزينة وقرة العين إذا تم تربيتهم وصقل موهبتهم وتزويدهم بالعلم النافع . . وخوفاً من انتشار هذه الظواهر الفاسدة من ضياع الوقت مع هذه الأشياء وإلغاء العقل ويفقد الإنسان هويته ويصبح عبداً وأسيراً لهذه الأشياء. . فعلى الآباء أن يُقيموا حواراً مع أبنائهم فى جو عائلى مريح تُغلِّفه الرحمة . . وتكون الشورى بين الجميع هى المبدأ السائد لخلق جو هادئ هادف بنَّاء . . إن بعض الآباء يعتقدون دائماً أن رأيهم هو الصواب وأن رأى كل مَنْ فى الأسرة خطأ. . والبعض يظن أنه ما دام وفّر لأولاده الأكل والشرب. . فليس لأولاده بعد ذلك أى حق عنده . . وفريق آخر من الآباء يُسيطر على أبنائه بحزام من حديد ويبخل عليهم فى المصروف ويعتقد أنه إن أنفق على أولاده سيصل إلى الإفلاس وهو معه مال كثير . . وفريق آخر يصيح فى وجه الزوجة ويقول لها . . اكسرى للبنت ضلع يطلع لها (أربعة وعشرون) ضلعاً. . وبعض الناس يسافرون إلى الخارج ويأخذون الزوجة ويتركون الأولاد فى رعاية العم أو الخال

ويبعثون لهم بالمال الوفير . . والأولاد الرقابة عليهم معدومة والمال فى أيديهم كثير . . هذه حالات أسرية نرقُبها ونحلل نتائجها وفى النهاية نرى أن الأمور فسدت . . ويندم الأب والأم ولا ينفع الندم لأن كل شىء ضاع من أيديهم وفقدوا بهجة الحياة . . والأبناء يندبون حظّهم لأنهم كانوا أبناء لهؤلاء الآباء ولسان حالهم يُردد (هذا ما جناه أبى علىّ) إن علماء النفس والاجتماع وهم يحللون هذه العينات ينتهون إلى رأى واحد وهو : لا بد من العلاج - وهو يعتمد على ثلاثة أمور :

١ - الإعلام عليه أن يبين للناس موقف الإسلام من الأسرة . . والعلاقات الأسرية التى هى فى الإسلام سكن ومودة وسكينة ورحمة وحنان وأبوّة وبنوّة ورعاية من الآباء تعتمد على العطف والمتابعة .

٢ - المسجد وما يوضحه للناس من خلال عظات الإمام وتوجيهاته فى حُسْنِ رعاية الأبناء ومتابعتهم . . فى المدرسة . . وخارج المدرسة مع التركيز على أن أحسن صحبة للأبناء أن تكون مع الآباء . . وأن الآباء عليهم أن ينزلوا من مستواهم الفكرى إلى مستوى الأبناء وأن يتعرفوا على أصدقائهم . . وأن على الآباء أن يّقيموا جسراً من المودة والمتابعة مع المدرسة أو الجامعة والنادى وغير ذلك .

٣ - الدولة . . عليها أن تُصّدر التعليمات المشددة والواجبة التنفيذ بمنع الضوضاء الصادرة من الشوارع : (كاستعمال كلاكس السيارات) وإبعاد (ورش إصلاح السيارات والدوكو) (ومنع الملصقات المثيرة للغرائز من الشوارع) (وتنفيذ قواعد المرور بكل دقة) .

إننا نريد أن يعود للأسرة أمنها وأمانها ليعود للمجتمع استقراره . . ولابد لأجهزة الدولة كلها أن تتعاون فى سبيل تحقيق ما نرجوه من خير لمجتمعنا العظيم . .

٢ - الكُتَّاب . . أدّى الكُتَّاب دوراً عظيماً فى حياة الأمة الإسلامية . . لأن الكُتَّاب هو . . مكان مُعيَّن يتفرغ له شخص مُعيَّن . . حافظ للقرآن الكريم . . ولديه علم بفن التجويد ومعرفة بقواعد الإملاء وقواعد الحساب الأربع . . ويقوم هذا الرجل بتحفيظ الأطفال فى سن مُبكِّر القرآن الكريم . . وتعويدهم على الكتابة

الصحيحة وتمرينهم على حل قواعد الحساب الأربع . . لأنه مما يفيد الطفل منذ الصغر أن يتعود على قراءة القرآن الكريم وحفظه . . لأن القرآن يُقوِّم لسان الطفل ويجعل حروف الكلمات منضبطة . . وتخرج من مخارجها الصحيحة . . فيُعطِّش الجيم . . ويُفخِّم حروف الإظهار المعروفة من الخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف . . كما يتعود على إخراج لسانه فى الثاء والذال والظاء . . إلى غير ذلك من الأمور التى يراعيها مُحفظ القرآن الكريم للأطفال والطفل الذى يبدأ حياته بذلك تجده ينتفع بهذا فى شبابه ورجولته . . ويتدرب تلقائياً على فن الحوار لأن القرآن يُوسِّع مداركه ويُصفى ذهنه ويُنقِّى وجدانه ويرقق مشاعره ويجعله يعيش بين الناس وهو يتسم بالذكاء والفطنة واللباقة والحصافة وبُعد النظر والكياسة . . والطفل وهو فى الكُتّاب . . فى مرحلة سن القبول وتكوين العادات واكتساب الصفات الحميدة وتهذيب الطباع والأخلاق . . ولا شك أن الولد أو البنت إذا تربوا على حفظ القرآن منذ الصغر فقد استطعنا أن نكوّن الشخصية السّويَّة المتزنة وبمثل هذه الشخصيات يرقى المجتمع وينهض لأنه بضوء الفكر المرتب والعقل المنظم يُسهم مَنْ يتحلى بذلك فى صياغة المجتمع صياغة جديدة يرتكز على العلم الذى استقته هذه الشخصية من القرآن الكريم واستطاعت هذه الشخصية بالبحث المتواصل استخراج المعارف من أصولها . . وهذا بلا شك يؤدى بدوره إلى رقى المجتمع وتقدُّمه . . ولقد خرَّجت هذه الكتاتيب رجالاً ونساءً قادوا سفينة الإصلاح فى المجتمع الإنسانى . . بصحوة إرادة ويقظة همة وعزيمة قوية . . لأنهم كانوا أصحاب ضمائر حيَّة يعرف الواحد منهم واجبه فيؤديه بأمانة وهمة ونشاط . . ويعرف حق الناس عليه فيُحب لهم ما يُحب لنفسه وهو يعطف على الصغير ويحترم الكبير . . ذلك لأن القرآن الكريم كتَاب علُوى المُتنزَّل . . سماوى المطلع فى قمة البلاغة . . وأعلا طبقات الفصاحة . . ومع ذلك فحفظه مُيسرٌ لأن كلماته ليس فيها تعقيد . . ولا ألفاظ مُستهجنة وإنما هو البلاغة الرائعة والبيان . . يقول مُنزِّله سبحانه ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** (١٧) ﴾[القمر] . . لهذا فمن قرأ فيه فكأنما يقرأ طوية نفسه الطاهرة . . ومن استمع إليه كأنما يستمع إلى همس خاطره النقى . . لأن آياته تُخاطب كل الأجناس

وتُحرِّك كافة المشاعر والأحاسيس.. ومَنْ يداوم على قراءته يتعود على سلامة التعبير.. ويستقيم لسانه فى النطق.. والقدرة على الاستيعاب .. وهذه هى مُقوِّمات الشخص الناجح الذى يستطيع أن يحاور غيره مع الحفاظ على أصالة الفكر.

٥ - المدرسة .. والمدرسة هى الأخرى تلعب دوراً خطيراً فى تهذيب وجدان الطفل الذى تتسع دائرة معارفه من خلال ما يتلقاه فيها من معلومات ولا شك أن الطفل سيتحاور مع أستاذه الأمر الذى يجعلنا نقول للأستاذ .. كُنْ قدوة حسنة أمام طُلاَّبك لأن أعينهم منعقدة عليك وأنت الذى تُشكِّل وجدانهم وتُنمِّى أحاسيسهم وأن كل كلمة تخرج من فمك تترسخ فى أذهان الطلبة الذين هم أمانة الله الغالية بين يديك.. وأعلم بأن سؤالك لأى واحد منهم عن أى شىء إنْ تعثَّروا فيه فَأجبْهم أنت واجعل الحوار معهم هادفاً والمعلومة صحيحة فإن ذلك خير لهم.. ولا عيب إذا لم تكن المعلومة واضحة أن تقول لا أدرى.. إنه لكى نُربى الولد على أسلوب الحوار الذى يهدف إلى تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين علينا أن نُربِّى أطفالنا منذ الصغر على هذا الأسلوب..

٦ - إن عوامل تنمية الحوار التى يكتسبها الطفل منذ نعومة أظفاره تجعله دائماً يُدير حواراً بينه وبين نفسه. يقول لنفسه مثلاً.. لو قِيل لى كذا.. أقول كذا وكذا.. وهكذا هو يدير حواراً بينه وبين نفسه .. فعوامل تنمية الحوار مع اكتساب المهارات والخبرات من الغير.. إلاّ أن هناك عوامل تنبع من شخصية الإنسان .. قد يُسمِّيها البعض بالهواجس .. أو التخمين .. أو الظنون .. لكنها فى النهاية تتركز حول عوامل تنمية الحوار التى تنبع من داخل أعماق الإنسان.

والمدرسة وهى تستقبل الأطفال .. وعقولهم صفحة بيضاء.. تكاد تخلو من كل ما يتعلق بشئون الحياة.. لا شك أن الأطفال سوف يتعرضون لعملية تنشئة تتسم بسعة الأفق يكتسبون من خلالها معارف وثقافات ومعتقدات تتضافر مع عوامل أخرى على تشكيل وتوجيه سلوك الأطفال الاجتماعى عندما يصلون إلى المرحلة التى يتحملون معها مهام المواطنة الصالحة.. من هنا كان دور المدرسة من الخطورة بمكان

لأنها تسهم بدور كبير وفعّال . . فى تدعيم القيم وتأصيلها فى نفوس الطلاب . . والتأكيد على روح الانتماء للأسرة والمجتمع والمدرسة . . والتأكيد على كيفية الحفاظ على حقوق الإنسان وحقوق الصحبة والجوار . . وتنمية القدرات والمواهب . . وإتاحة الفرصة للإبداع حيث تتيح المدرسة أفقاً أرحب ورؤية أوسع مع تنمية القدرات والمواهب .

إن المدرسة يتعايش فيها الطفل وقتاً طويلاً فلابد أن تتعدد أنواع الأنشطة فيها . . لأن المدرسة هى المؤسسة الاجتماعية التى تشارك البيت والمجتمع بجميع أجهزته فى تحمل مسئولية التنشئة الاجتماعية للأفراد وإعدادهم لمواجهة الحياة . . فوظيفة المدرسة إذاً . . ليست مجرد تلقين المعلومات . . وإنما هى المحرك والمؤثر فى الطفل من خلال المعلومات والأنشطة على تنمية استعداد الطفل وميوله وإظهار نبوغه وصقل مواهبه . . مع التوضيح بأن النمو ليس عملية تشكيل تحدث نتيجة توجيه المؤثرات من الخارج فقط . . بل لابد من استجابة الفرد لتلك المؤثرات وتفاعل قوى الطفل النفسية معها . . وواجب المدرسة أن تهيىء للتلاميذ بالوسائل الملائمة لاستثارة النشاط وتوجيهه فى الاتجاهات التى تؤدى إلى تحقيق الغرض المنشود لتنمية الاتجاهات الثقافية التى تهيىء الطفل لمواجهة تحديات المستقبل وتعميق خط الأصالة الحضارية فى وجدانه . . وتحصينه من الداخل ليستطيع كشف قناع الثقافات الوافدة التى تحاول طمس هويته واقتلاعه من جذوره الاجتماعية . . ولابد من ربط الأطفال بالتراث البيئى والاجتماعى وزرع بذور المناعة والأصالة فيهم . . حماية لهم من الإحباط والعجز والتبعية وتبصير الأطفال بالاتجاهات العامة . . بأسلوب يتناسب مع فكرهم . . ونرى أن من أهم الموضوعات التى تطرح عليهم :

١ - تعميق القيم الاجتماعية فى نفوسهم من خلال (القدوة) .

٢ - تدريبهم على آداء العبادات بأسلوب يدخل البهجة على نفوسهم من خلال (الريادة) .

٣ - تنمية الوازع الذاتى للأطفال من خلال علاقتهم باللّه . . ومراقبة الضمير . .

٤ - أدب الحوار . . وأدب الخلاف . . واحترام الكبير .

٥ - خدمة المجتمع من خلال الاحترام المتبادل للأب والأم والمعلم والتعاون بين الجميع .

٦ - إشراك الطفل فى الممارسات العملية من خلال تشكيل مجلس الفصل وقيام الأطفال باختيار الرائد . . ويُعبِّر الأطفال بحرية تامة عما فى نفوسهم مع ترك الحرية لهم لممارسة أنشطة مختلفة يكتشفون قدراتهم وذواتهم مع توفير الإمكانات اللازمة لهم لتنفيذ الأنشطة التى تتسم بالمبادءة والابتكار على أن يتوفر جانب المتابعة من إدارة المدرسة .

٧ - مع تهيئة أوجه النشاط الذى يشبع الميول النفسى والاهتمامات المتباينة والتدريب على الاستقلال الذاتى ومواجهة مواقف المنافسة فى محيط المدرسة . . فإن هذه الأنشطة تنفيس عن الدوافع والطاقات الكامنة داخل الطفل . .

٨ - بجوار كل ما قدمناه فإن المؤسسة الدينية عليها دور كبير لأنها تشرف على الكتاب الذى يقدم للطفل لتعليم الأولى وبما يتناسب مع قدر فهمه واستيعابه وحتى يكون بناء الطفل متناسقاً مُتزناً وإعداده إعداداً طيباً لمواجهة الحياة .

إن دور المدرسة مهم جداً . . لذلك يجب مراعاة هذه الجوانب وتأديتها بهمة ونشاط لنستطيع إعداد جيل يتحمل مسئولية الأوطان وحماية الثقافة والمحافظة على الأصالة الوطنية وعدم الذوبان فى المجتمعات الأخرى . . إن المجتمع لا يتقدم إلاّ بأبنائه ولا ينهض إلاّ بعقول أبنائه . . لهذا فإن الأمر يتطلب رعاية التعليم مع الوضع فى الاعتبار بأن التربية ما هى إلاّ إعداد الفرد بتراث أمَّته وقيمها الأصلية ورسالتها الحضارية . . والتربية تستهدف تعليم الحياة بالحياة . . ويتطلب الأمر إحداث مواقف . . ومحاورة الطفل كيف يتفاعل مع هذه المواقف . . أو يَحلُّها إن كانت مشاكل . . أو طرح معلومات افتراضية عليه . . والاستماع إلى إجابته .

إن على المدرسة أن تهتم بغرس مفاهيم الولاء والانتماء لدى الطلاب حتى يكونوا مواطنين صالحين على وعى بهويتهم معتزين بوطنهم مستعدين لوضع مصالحه

العليا فوق كل اعتبار . . لأننا نؤمن بأن الطفل ليس بمنأى عما يُشغل بال الكبار . . فهو على وعى بمشاكل أسرته . . ودائرته المحلية . . ووطنه . . وهذه مشكلات تطابق إلى حد كبير ما يجرى فى المجتمع الدولى.

إنه لكى ندرب الإنسان على الحوار فلابد أن نخلق فيه هذا الوعى منذ نعومة أظافره. . لأنه ولا شك يكون نمو وعى الطفل . . ونمو تقدمه يصاحب ذلك ميل مُتنامٍ للبحث عن تدعيم لنشاطه وتشجيع من الكبار للأعمال التى ينجح فيها الأمر الذى يجعلنا نقول بأن الأولاد يحتاجون إلى التشجيع على أى جهد يبذلونه . . مع عدم المغالاة فى تقدير ما قام به الأطفال . . وإنما يُشجَّعون لأن الطفل عندما يمارس أى نشاط يُسهم بشكل رئيسى فى تكوين شخصيته فإن المعلمين فى المدرسة يفتحون أمام الأطفال الباب مع قيادتهم على تَمَهّل لأن أبعاد العلاقات الاجتماعية تتطلب مرونة وتَمَهُّل لكى تتأصل فى نفوس التلاميذ هذه العلاقات. .

إن المدرسة عليها أن تشجع الأولاد على الألعاب الفنية. . كتعلّم الرسم وتحسين الخط لأن ذلك يُعبِّر عن التألق الإبداعى. . والتذوق الجمالى لأن الأعمال الفنية تُعبِّر عما يجول فى عقل التلميذ لحظة قيامه بهذا النشاط . . كذلك تدريب التلاميذ على القراءة مع الإحاطة بأن الأولاد فى مراحل العمر الأولى يميلون إلى القصص الواقعى. . وأحياناً إلى قصص العلوم والفضاء. . مع إعطاء الولد فرصة للألعاب الترويحية والرياضية لأن ذلك مصدر بهجة وفرحة للأطفال وتفيدهم فى التنشئة الاجتماعية وتكسب الإنسان صحة وعافية (العقل السليم فى الجسم السليم) وتُريح الأولاد نفسياً . . وفى كل هذه المراحل يكون الحوار بين الأستاذ والتلاميذ. . حواراً هادفاً للتعرف على مدى الاستفادة من هذه الأشياء. . وفى أثناء الحوار يُعلِّمهم أدب الحوار وأهدافه والغرض منه.. إن التدريب على الحوار شىء مهم جداً وهو أساس لنجاح العملية التربوية وتنشئة جيل فاهم لأصول الحوار لأن هؤلاء الأولاد خلقوا لزمان غير زماننا والمسئولية علينا فى تدريبهم وتنشئتهم والأخذ بأيديهم لنضمن بذلك رقى المجتمع ونهوضه وعدم الحضارة على أرضه فى مناخ جيد بعقول مُتفتحة تجيد العمل وتبتكر فى الأداء وتُحسن الحوار ليتعايش الجميع ينعمون بالخير والهناء والسلام.

عوامل لتنمية القدرة

لكى يتدرب الإنسان على تنمية القدرة للحوار عليه أن يتخذ المنهج الآتى:

١ - أن يتدرب على فن الخطابة لأنه أثناء الحوار يكون المحاور كالخطيب.. يعرض فكره على الناس.. ويرتب أوليات الحديث.. ويسوق الأدلة بين يدى ذلك.

٢ - أن يتدرب على فن الإلقاء بحيث يتميز بالصوت الواضح.. والنبرات القوية المعبرِّة.. أن يُخرج الحروف من مخارجها.. ويستعين على ذلك بأن يتعلم تجويد القرآن الكريم.

٣ - أن يختار الألفاظ السهلة.. وأن يبتعد عن الألفاظ الغريبة.. حتى يفهم الجميع كلامه.. ولا يجدون غرابة فى أسلوب التعبير.. وهذا يحتاج منه الرجوع إلى قواميس اللغة..

٤ - أن يكون يقظاً.. مُتنَبِّهاً حتى للإشارة التى تصدر ممن يحاوره.. وأن يكون عنده سرعة بديهة حتى لا يفاجأ برد فعل من محاوره يؤثر عليه ويربكه.

٥ - عدم الخروج عن موضوع التحاور.. لأنه لكل حوار موضوع مُعيَّن يُطرح فى البداية سواء عن طريق بحث أو عن طريق تقديم من رئيس الجلسة لموضوع يتحاور فيه الجميع.. على أن يراعى عدم توسيع نطاق الحوار وعدم الخوض فى مسائل جانبية لاتتصل بالحوار.

٦ - لغة الحوار: هى اللغة السائدة بين الجمهور الذى يحضر الحوار.. لأن اللغة هى وسيلة التفاهم.. وقديماً قال الشاعر:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴿٤﴾ ﴾[إبراهيم].. إذاً فمعانى الكلمات فى القلب والفكر لكن اللسان هو الذى يُترجم ومن رحمة الله بنا أنه علّمنَا البيان لنُعبِّر بذلك عمّا فى قلوبنا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن].

إن الأفضل فى الحوار أن يتم باللغة التى يتكلم بها الجمهور الذى يستمع لأن اللغة هى وسيلة الحوار ولكى يكون مفهوماً للجميع ولا مانع من استخدام المتحاورين لألفاظ الاصطلاحات العلمية بغير اللغة التى يتم بها الحوار بشرط أن يكون المتحاوران يعرفان هذه المصطلحات ثم تُترجم إن أمكن ذلك ليعرف الجمهور الذى يحضر ويستفيد فمن الأقوال المأثورة «**أومرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**».

وسائل الحوار

تتركز وسائل الحوار على نقاط أهمها:

١ - شخصية المرسِلْ (المتحدث) أو (الكاتب).

٢ - شخصية المستقبل . . الذى سيقوم بالرد على ما يسمع.

٣ - الجمهور . . المستفيد من الحوار . . ومعرفة الحقيقة.

٤ - فكرة موضوع الحوار . . اجتماعية . . أم دينية . . أم وطنية . . إلى غير ذلك من أمور اقتصادية أو صحية أو زراعية.

٥ - الوصول إلى نتائج الحوار على أن تكون محددة . . ويتم ذلك عن طريق:

أ - الاتفاق .

ب- الأغلبية.

جـ- أو عرض وجهات نظر الأطراف المشاركة فى الحوار للوصول إلى نتائج وبحيث يرتضى الأطراف ما توصلوا إليه من نتائج.

فإذا لم يتم الاتفاق . . ولم تتفق وجهات النظر . . فلا مانع من عرض الموضوع على شخص . . أو أكثر . . يتميز بالسعة العلمية ويكون رأيه هو الفاصل فى هذا الموضوع.

إن الإنسان عندما يُعبِّر بالكلام عمّا يعتمل فى نفسه من معانى وأفكار فإنه لا بد لإنسان آخر يستمع إليه وقد لا يعجب المستمع ما عَبَّر به الشخص الأول من كلام . . وهنا يدور حوار بين الاثنين . . كل منهما يريد أن ينتصر لفكره ورأيه . . وحسماً

لهذا فإن الحق سبحانه وتعالى حدّد لنا سبيل الخروج فى مثل هذا الموقف فقال لنا ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل].. وهنا لابد من الرجوع إلى حكم من أهل الخبرة وعنده صلاحية وإلمام بموضوع الحوار ليفصل فى القضية ويكون رأيه نهائياً ويلتزم الجميع برأيه والوقوف عند هذا الحد فى إنهاء الحوار.

مـدة الحوار

الزمن لا يُقدر بثمن.. والمسلم مُطالب أن يحافظ على الزمن ولا يُضيع الوقت لأن المسلم يعتبر أن رأس ماله فى الحياة هو الذى لا يُحابى أحداً ولا يُجامل شخصاً لذلك علينا ألاَّ نُضيّع الوقت لأن كل دقيقة تمر علينا من عمرنا سنحاسب عليها لهذا يقول الرسول ﷺ **«اغتنم خمساً قبل خمس .. حياتك قبل موتك .. وصحتك قبل سقمك .. وفراغك قبل شغلك .. وشبابك قبل هرمك .. وغناك قبل فقرك»**

[رواه الترمذى]

لذلك علينا أن نحدد مدة الحوار حتى لا يضيع الوقت فى مناقشات قد لا تكون مفيدة.. ويخرج الحوار عن الغرض الذى تم من أجله.. ولابد أن يكون هناك رئيس للجلسة عنده صلاحية وقدرة تجعله يتحكم فى إدارة الجلسة والالتزام بالموعد المحدد وأن يكون لديه القدرة على رد مَنْ يخرج عن الهدف المحدد للحوار وحتى تكون النتائج مُحدّدة..

وإذا كانت مدة الحوار مطلوبة فهناك تنظيم الحوار تنظيماً موضوعياً يتحكم فيه رئيس الجلسة ولا يسمح لأحد من الجمهور بالتدخل مع المتحاورين.. ولكن يفتح الباب للجمهور بأن كل شخص يُدوِّن ما يَعنُّ له من ملاحظات أو تعقيب وتُسلَّم هذه الأوراق لرئيس الجلسة ويكون له الحق فى التعقيب أو الرد على أسئلة أو استفسارات الجماهير أو طرحها على المتحاورين وكل ذلك فى الزمن المحدد.. والوقت المسموح به.. ذلك لأن الهدف الأساسى للحوار هو تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين مع تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع.. وبحيث يتزوّد الفرد بالمعارف والأفكار ويكتسب من وراء ذلك إصلاح نفسه وتهذيب أخلاقه والسمو بروحه..


الفصل الثانى
مقومات المُحاورِ

الفصل الثانى
مقومات المُحاورِ

ما من شك فى أن الحوار هو أفضل طريقة للتفاهم بين الأطراف المتباينة التى تربطهم مصالح مشتركة ليتمكن كل طرف من فهم سلوك وتصرف الطرف الآخر . . فالأفراد . . أو . . المجتمعات . . عندما تسعى وتتحرك فى اتجاه تحقيق منفعة أو مصلحة معينة لابد أن يكون لها غرض ووسيلة وهدف . . فالحوار إذاً يختلف من قضية إلى قضية . . ولابد من اختيار المحاور فى القضية التى يحاور فيها بحيث يكون عنده عِلْم وإلمام بالقضية التى سيتحاور فيها لأنه (لكل مقام مقال) . . والمحاور لابد أن يكون حكيماً فطناً فقيهاً فى قضايا العصر عنده عِلْم بالمشكلات المطروحة على الساحة . . وأن يكون مُلماً بالقضية التى سيتحاور فيها متفتح العقل واسع الأفق . . مدركاً لأهمية المعركة التى سيخوضها . . لأن الحوار معركة عقلية وسياحة فكرية فلابد للمحاور أن يكون محيطاً بمعارف شتى من العلوم على قدر كبير من الثقافة ثم هو متخصص فى مادة الحوار . . والحوار مظهر حضارى يعكس تطور المجتمع ونضج فئاته . . ليتم تبادل الاحترام بين الأطراف المتحاورة على أسس ثابتة وضوابط مُحكمة أهمها :

١ - الاحترام المتبادل بين المتحاورين . . فكل فرد يحترم الآخر على أى مستوى كان وحتى لا يكون الحوار ساحة للتطاول على الناس والحط من قدرهم والمساس بمكانتهم والإساءة إليهم . . والحق سبحانه وتعالى أرشدنا إلى ذلك ﴿ ... **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** .. ﴿٨٣﴾ ﴾[**البقرة**] . . أى كلموهم كلاماً طيباً لأن القول الحسن ينم عن خلق طيب ونفس كريمة صاحبها لَيِّن الجانب يعفو عمن ظلمه . . ويُحسنُ إلى مَنْ أساء إليه وإلى هذا أشار الحق سبحانــه ﴿ .. **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** .. ﴿١٣٤﴾ ﴾[**آل عمران**] . . وقول الرسول ﷺ «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**»[رواه الترمذى] . . والحق سبحانه وتعالى

يوجهنا إلى مكارم الأخلاق فيأمرنا باحترام كل شخص مهما كانت ديانته ومهما كان فكره فيقول الحق سبحانه: ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ .. ﴿١٠٨﴾ ﴾[الأنعام]. .ويقول سبحانه ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴿٤٦﴾ ﴾[العنكبوت]. . هذا هو مبدأ الإسلام القول الحسن حتى ولو تطاول عليك مَنْ تطاول إلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[فصلت].

٢ - الإنصات لمن يتحدث . . وهذا مبدأ هام جداً لكى تفهم فكر مَنْ يتحدث إليك . . واتجاهات رأيه . . وحتى يكون عندك استيعاب لما سوف ترد به عليه . . ويا حبذا لو أمسكت بقلم وورقة ودوّنت النقاط التى يثيرها محاورك فى نقاشه . . ولا تقاطع كلامه . . إلاّ إذا استنزف الوقت المحدد له . . فنبِّه على الوقت . . لأنه من أدب الحوار أن تُنصت جيداً لمن يتحدث إليك لتستوعب ما يقوله لك . . وإذا كان الحوار قد فقد أهميته الآن فبسبب التعجل فى الرد وعدم التروّى حتى يفرغ الحديث وهذا منهج خاطىء لأن الحوار بهذا يفقد مهمته لأن الأصوات تعلو والكلمات غير مُرتّبة والحناجر متشنجة عالية والألفاظ متآكلة وغير مفهومة وفى هذا الجو تكون فيه الأعصاب متوترة والعقول غير فاهمة . . لهذا فإن الإنصات مبدأ هام يجب أن نلتزم به وكان هذا هو سلوك النبى محمد ﷺ الذى ضرب لنا المثل الكامل فى هذا الموضوع وفى غيره من مواضيع الحوار. فقد كان لا يستهين بخصمه ولا يُقلِّل من شأنه . . ويُنصت إلى متحدثه . . ولا يرد عليه إلاّ بعد أن يفرغ من حديثه . .

٣ - نبذ التعصب . . فإن المحاور شخصية سويَّة لذلك فهو لا يتعصب لرأى . . وإنما يبحث عن الحق ويدعو إليه . . ويتمسك به ويبرهن على رأيه بالأدلة القوية . . فإن استجاب محاوره وإلاّ أعلن ما وجَّهنا إليه ربنا فى قوله : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف] . . والرسول ﷺ يعلن بصريح القول: «ليس منا من دعا إلى عصبية» [رواه البيهقى] . . والحق سبحانه وتعالى يُوجهنا إلى نبذ التعصب لأن القرآن يرقى بأحاسيس الناس ومشاعرهم فيقول الحق

سبحانه ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة] . . فالإنسان المحاور شخص متزن لا يتعصب ولا يتعالى على محاوره . .

٤ – عدم الحقد والكراهية لمن تحاور . . لأن الحقد مرض قلبى يضر بصاحبه قبل أن يضر بغيره . . وكراهية الإنسان لشخص تحمله على غمط حق غيره وعدم الاعتراف بقدره وهذه صفات ذميمة لا يليق أبداً بالإنسان المحاور أن يحملها ولا يتحلى بها أبداً ولا تكون من طبعه ولا من خلقه فقديما قال الشاعر :

لا يعرف الحقد مَنْ تعلو به الرتب ... ولا ينال العُلا مَنْ من طبعه الغدر

٥ – الإنصاف والعدل . . الإنصاف أن تنصف محاورك وتعطيه حقه من التقدير ولا تحتقره لأنك بذلك تتعالى عليه والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[النحل] . .

ويقول سبحانه ﴿ . . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[غافر] فأنت عندما تنصف غيرك فأنت إنسان تعرف الحق ولا تحاور للشهرة والظهور ولهذا يقول الرسول ﷺ « **من تواضع رفعه الله .. ومَنْ تكبّر وضعه الله** » [رواه أحمد] . . إن المؤمن دائماً لا يحب التقدم على الناس ولا يبدر منه ما ينم عن ترفّعه عليهم . . ولا حب التصدر فى المجالس كذلك لا يستخف بالناس لأن أمامه قول الرسول ﷺ : « **لينتهيَنّ أقوام عن الفخر بآبائهم أو ليكوننّ أهون على الله تعالى من الجعلان** »(١) [رواه الترمذى وأبو داود] . . والمسلم دائماً متواضع رغم أنه أعلم من محاوره لهذا قال الحق سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان] .

لهذا فإن المسلم المحاور ينصف محاوره ويعدل حتى ولو كان الحكم عليه فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء] .

---

(١) والجعلان : دابة سوداء من دواب الأرض الصغيرة.

بهذا يأتى الحوار بنتيجة مفيدة وتبرز فيه شخصية المحاور الذى ينشد الحق وإليه يدعو . . ومن أجله يتزود بالثقافة الواسعة والعلم النافع المفيد الذى يخدم قضية السلام . . ويكون طاقة للإبداع فى شتى مجالات الحياة وقوة دافعة للنشاط الإنسانى . . ووسيلة للنهوض بالمجتمعات وتحصينا للشعوب والأمم ضد المخاطر التى تتهدّدها من جرّاء تصاعد الخلافات المتشعبة . والميول إلى العنف تارة . . أو الإرهاب بالتصفية الجسدية تارة أخرى . . إن الحوار فى حد ذاته تعبير عن نضج فكرى ووعى حضارى . . وتصميم على البحث عن أقوم السُّبل للتغلب على المشكلات . . ومعالجة الأزمات . . حتى نتفادى المخاطر ونتجنب الخسائر بعقل متفتح . . وبضمير حى . . وبصحوة إرادة تدفعنا إلى الحوار البنّاء بشخصيات مُتزنة سويّة تعرف قدر الناس وتحترم أقدارهم . . وبهذا يكون للحوار فائدة فى تقارب الشعوب تحت راية الحق والعدل والسلام .

أصل الحوار

يظن كثير من الناس أن مفهوم الحوار فى الفكر الإنسانى جديد على العقل البشرى . . واستدلوا على ذلك بأن المواثيق والعهود الدولية التى صدرت عن منظمة الأمم المتحدة قد خلت من الإشارة إلى لفظ (الحوار) بينما وردت كلمات تُبرز القيم الاجتماعية مثل . . التسامح . . التعايش السلمى . . التعاون وتحقيقه بين الدول . . الدفع بالرقى الاجتماعى والرفع من مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح[1] . . كما أنه لم يرد فى القانون الدولى ذكر للفظ (الحوار) . . ولم يرد فى الإعلان الدولى لحقوق الإنسان . . وفى جميع ما صدر عن الأمم المتحدة من مواثيق وعهود لم يرد كلمة حوار . . ولهذا يقولون بأن لفظ الحوار مصطلح جديد ظهر فى الآونة الأخيرة والسبب فى استعماله تزايد حدة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . . وقد رفع الغرب شعار (الحوار) لأن المعسكر الشيوعى كان يرفع شعار (التعايش السلمى بين الأمم والشعوب) . . وأيّاً كان الشعار فإن الكاسب هو صاحب

(١) يراجع ميثاق الأمم المتحدة الديباجة .

الدعوة والمنادى بها.. ولكن هؤلاء وأولئك ومَنْ يسير فى فلكهما تجاهلوا الإسلام.. والإسلام هو الذى أرسى فكرة الحوار.. ففى لسان العرب (الحوار هو الرجوع ..وهم يتحاورون أى يتراجعون الكلام .. والتحاور هو التجاوب والمجاوبة.. والحوْر هو الرجوع عن الشىء وإلى الشىء.. والمحاورة مراجعة المنطق والكلام فى المخاطبة»[1] فالإنسان يعجب أن المواثيق الدولية تتغافل اللغة العربية بل إن الإنسان ليستولى عليه العجب عندما يعلم أن من أسماء العقل الإنسانى فى اللغة العربية (الأحْوَر) إن الحوار فى تراثنا الثقافى والحضارى يكتسب معنى يدل على قيم ومبادئ وهى جزء أساسى فى تراثنا مما يدل على أن له معانٍ رفيعة القدر سامية الدرجة تكسبها دلالة عميقة تُعبِّر عن روح الأمة والتى اكتسبتها من منهج القرآن الكريم فنقرأ فى القرآن الكريم: ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴿٣٤﴾ ﴾[**الكهف**] .. وفى آية أخرى من نفس السورة ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴿٣٧﴾ **لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴿٣٨﴾ ﴾[**الكهف**] .. والتحاور عند الإمام الطبرى المراجعة فى الكلام وهو المعنى الفصيح الصحيح الذى تمتلئ به الكتب العربية.. لأن الحوار هو التجاوب بما يقتضى ذلك من رحابة الصدر وسماحة النفس وطول البال ورجاحة العقل وتنوع الثقافة مع الثبات والاتزان والتعامل بعقل مع الأفكار التى تطرح لأن الحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية يستند إلى مبادئ الدين لأنه يُعبِّر عن سمة التسامح التى يتميز بها الإسلام.. ويُبرز سمات الشخصية الإسلامية السويّة المتزنة لأن المسلم بطبيعته يترفع عن الصغائر ويتسامى عن الضغائن ولا يميل مع الهوى مهما كان المتحاور معه يشعر بضعف الشخصية وتسيطر عليه روح الهزيمة لهذا كان للحوار فى الإسلام آداب عظيمة أهمها:

١ - أن المسلم يتأدب بأخلاق الإسلام.. ويتأسى برسول الله ﷺ الذى كان يخاطب الناس على قدر عقولهم.. ثم يرتفع بمستواهم تدريجياً حتى يفهموا منه مايريد.

٢ - على الإنسان المسلم الذى يدخل إلى حلبة الحوار أن يكون عنده إيمان قوى بأنه فوق كل ذى علم عليم . . لذلك عليه أن يتواضع . . وأن تكون ثقته عظيمة فى اللّه وعليه أن يتشبث بالحق دون تعصب لأن كل ذلك يحفزه إلى الثبات فى مواقف الحق . . ويقوى فى نفسه إرادة البقاء الحر . . الكريم . . لأن المؤمن . . عزيز النفس . . قوى الجانب . . حُر الإرادة كريم الذات لإيمانه بقـــول الحـــق سبحانه ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[آل عمران] . .

٣ - الحوار أسلوب من أساليب التقارب والتجاوب والتفاعل ولذلك فإن من شروطه (الحكمة) وهى جماع العلم والمعرفة . . ولذا كان من عناصر الحكمة . . حُسْنُ الفهم . . عمق الوعى . . سعة الإدراك . . القصد والاعتدال . . الفطنة والرشد واليقظة لهذا قال الحق سبحانه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة] . . من هنا فإن الغرض من الحوار . . التماس الحقيقة . . بأى طريق ليس فيه انحراف عن منهج الشرع الإسلامى وبيان ما فيه الصالح العام وبمختلف الوسائل التى تحقق مصالح العباد والبلاد .

إن الحوار أصل ثابت فى الحضارة الإسلامية وهو من مبادئ الشرع استناداً إلى قول اللّه تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران] . . وهذه الآية فى عمقها وجوهرها . . وفى معناها ومغزاها دعوة إلى الحوار الراقى الهادف . . إنه بناءً على ذلك فإن الحوار الذى نرتضيه . . هو الذى يستمد من الإسلام روح الاعتدال . . لأن الإسلام ينبذ التطرف والتعصب حيث إن الإسلام ينزع إلى الوسطية والاعتدال . . وعلى هذا الأساس فإن الحوار الذى نتبنّاه هو الذى يكون (بالكلمة الراقية وبالمنهج السوى) دلالة ومفهوماً وغاية وفلسفة .

الحـــوار

لأن الحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة أساساً إلى مبادئ الدين . . وهو أصل من الأصول الثابتة للحضارة العربية . . وهو الذى يعتمد على أسس

سليمة . . ووسائل نظيفة . . ويهدف إلى غاية نبيلة . . وهو الذى ندعوا إليه لأنه يستمد من العقل الذكى روح الاعتدال والتأكيد على التوسط بين الأطراف . . وهذا ما يدعو إليه الإسلام ويؤكد عليه فكأن الحوار يستمد من الإسلام روح الاعتدال . . ولقد ظهرت لغة الحوار فى المجتمع . . كما ظهرت هذه الكلمة فى العصر الحديث . . ولعل القارئ للقرآن الكريم يتبين له . . ان القرآن الكريم حفل بكثير لبيان أساليب الحوار خاصة ما جرى فى الملأ الأعلى عندما قال الله سبحانه للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فرد الحق عليهم بقوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تقرأ هذا فى سورة البقرة من الآية (٣٠).

ثم كان الحوار الذى كان بين الحق سبحانه وتعالى . . وبين إبليس اللعين . . لأن الحق سبحانه عندما خلق آدم وصوّره أمر الملائكة أن تسجد له فسجدوا كلهم . . لكن إبليس اللعين الذى كان يعيش معهم ويعبد الله بعبادتهم . . لم يسجد . . فسأله الحق سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فرد إبليس بتبجح و ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ وهذا الأسلوب فيه خروج عن الأدب ثم فيه مفاخرة وتعال وغرور لذلك استحق الطرد من ملكوت السماء جزاءً وفاقاً لذلك نال إبليس جزاءه . . وسمع الرد من رب العالمين ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ . . لكن إبليس تمادى فى غيّه ورد بوقاحة ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فسمع الرد من الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ . . وهكذا يستمر الحوار فى الملأ الأعلى . . ويُخبرنا به الحق سبحانه لأننا لم نكن شهداء لهذا الحدث . . وتقرأ هذا الحوار فى سور القرآن الكريم منها . . سورة البقرة . . سورة الأعراف . . سورة الحجر . . إلى غير ذلك مما تجده فى آى الذكر الحكيم . . وهذا الأسلوب المتميز يبين لنا أن الحوار له هدف يؤكد عليه حتى يبرز واضحاً أمام القارئ أو المستمع . .

هدف الحوار

للحوار أهداف يرتكز عليها أهمها:

١ - تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين.

٢ - تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع حتى يتزوّد الفرد بالمعارف والأفكار والقيم والعادات والأنماط السلوكية المختلفة والتى لا يعرفها هو وهى عند الآخرين فيجليها الحوار وتتضح الصورة جلية.

٣ - للحوار دور فعّال فى نقل التراث الثقافى من جيل إلى جيل مع تنشيط المعلومات وتحديثها.

٤ - نقل التجارب من بيئة إلى بيئة والاستفادة منها (تبادل الخبرات الإنسانية).

من هنا كان للحوار أهمية كبرى فى حياة البشر لأنه يهدف إلى أمور عظيمة فيها خير للبشر وصلاح للمجتمعات .. وفى ذلك فائدة كبيرة .. الأمر الذى يجعلنا ننتبه لأهمية الحوار فى وقتنا المعاصر.

فهدف الحوار إذاً تحقيق الخير والصلاح .. وتنمية العلاقات الإنسانية .. حتى يكتسب كل إنسان من المعرفة ما يدفعه إلى التقدم فى الميدان العلمى ويكون من وراء ذلك.. إثراء الثقافات .. ونشر المعارف.. وحفز المواهب للابتكار بروح المنافسة الشريفة ليكون من وراء ذلك تحسين ظروف الحياة .. ويتجلى لنا هدف الحوار بأنه .. تفاعل لإثراء الحياة وتنشيط العقول .. لهذا فهو .. تدافع لا تنازع.. والتفاعل الحضارى بين أهل الثقافات والحضارات يجب أن يرتكز على إشاعة قيم التسامح الذى يدعو إلى التفاعل بين الثقافات والحضارات .. لأن هذا هو الأمل المنشود لفك الاختناقات السياسية.. وإزالة العقد الثقافية .. لأنه فى غياب الحوار تسبب ذلك فى.. خلق الاضطرابات الاجتماعية.. واشتداد الأزمات الاقتصادية وكل ذلك يؤدى إلى تأخر الشعوب وتناحرها بل يكون ذلك من الأسباب المؤدية إلى إبادة الشعوب.

إن الحوار المؤسَّس على التسامح يؤدى فى النهاية إلى حالة من الانسجام والتناغم لأن الحوار نتج عن تفاعل إرادة المتحاورين فالتقت الإرادتان إلى تبادل النصح والكشف عن الحقيقة وذلك له تأثير فى المحيط الاجتماعى فيكون هدف الحوار . . التفاعل الحضارى . . ويكون بهذا إنسانى النزعة . . ربَّانى الهدف يؤثر فى حركة التاريخ . . ويساعد على استتباب الأمن والسلام بين الناس جميعاً حيث يؤدى الحوار إلى توضيح الحق وبيان الصواب . . إن بعض الناس يعتقدون أن الحوار لا هدف له . . لكن هذا فهم خاطئ لمجريات الأحداث . . فالقرآن الكريم وهو أصدق كتاب ذكر لنا أنبياء اللّه الذين حملوا وَحْيَهُ إلى خلقه وأن كل نبى حاور قومه وأقام عليهم الحجة بأسلوب مهذب ولغة واضحة لذلك رأينا أن الحوار له أهمية عظمى فى ترسيخ القيم الأخلاقية وهو بلا شك أفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجاً لنقل معلوماته إلى غيره .

حوار أم صراع

يظهر بين الحين والحين فى وسائل الإعلام كلمة (حوار) تارة . . وتارة أخرى كلمة (صراع) والحق أن كلمة صراع ثقيلة على الأُذن لأن تأمين حياة كل إنسان من أى عدوان أمر مشروع . . لهذا نرى أن الأديان السماوية تتفق تماماً على تكريم الإنسان ويؤكد القرآن الكريم على ذلك وهو خاتم الكتب السماوية فيقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .. ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء] . . فالإنسان إذاً أكرم مخلوقات اللّه . . ومن تمام تكريم الخالق سبحانه لهذا الإنسان أنه أرسل إليه رُسلاً . . ليكونوا هداة مرشدين . . يوضحون معالم الطريق للإنسانية . . والرسالة التى حملها جميع الأنبياء . . هدفها . . سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة وكل الأنبياء حملوا رسالة واحدة . . وإلى هـــذا يُشير الحق سبحانه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى] . . فالدين الذى حمله الأنبياء واحد . . فلا يوجد أديان . . وإنما هو دين واحد . . والأخلاق الكلية واحدة عند كل الأنبياء والمرسلين لأن الدين الذى دعا إليه جميع رُسل الله حقائقه واحدة وهى :

١ - الإيمان باللّه الواحد الأحد المتصف بكل كمال يليق به . .

٢ - الإيمان باليوم الآخر وأن فى هذا اليوم سيحاسب اللّه الناس جميعاً على ما فعلوه فى حياتهم وكل إنسان ينال جزاءه .

٣ - الإيمان بالملائكة الأطهار وأنهم خُلقوا من نور . . وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يكلفهم به الحق وما يأمرهم به .

٤ - الإيمان بجميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى الكتب المنزّلة من السماء خاصة القرآن الكريم لأنه ختام الكتب السماوية .

٥ - الإيمان بالكتب السماوية الصحيحة والتى لم تلعب بها الأهواء ولم يتم فيها تحريف ولا تبديل . . يُشير القرآن الكريم إلى ذلك فى قول الحق سبحانه ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ... ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة] . . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء والمرسلين :«**إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ قال: ..فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيِّين**»[أخرجه البخارى] . .

إذا كان الحق سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان وبعث إليه الأنبياء ليكونوا هداة مرشدين . . فإن الحق سبحانه وتعالى أخبرنا بأن أصل الإنسانية كلها واحد . . ولذلك أكد الحق سبحانه على وحدة الأصل الإنسانى للبشرية كلها . . وجاء ذلك واضحاً فى قول الحق سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴿١﴾ ﴾[النساء] واختلاف الناس فى ألوانهم . . وأجناسهم ولغاتهم . . هذا دليل من دلالات القدرة الإلهية وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم] . .وقد بين الحق سبحانه أن اختلاف البشرية فى الجنس واللون واللغة لا يجوز أبداً أن يتخذ وسيلة من أجل تمزيق الأسرة الإنسانية واضطهاد

بعضها لبعض. . وإيجاد جو من الصراع أياً كان هدفه. . لأن الناس سواسية فى أصل الخلقة . . وقد وُجدوا فى هذه الحياة ليكون بينهم التعارف والتعاون على الرقى بالحياة. . والتلاقى على مبدأ الخير ورفع راية السلام وإلى ذلك أشار الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴿١٣﴾﴾[الحجرات] . . إن الله تبارك وتعالى فرّق بين الناس على أساس واضح وهو (الإيمان والكفر) بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الإقليم فالمسلم هو مَنْ أسلَمَ وجهه للَّه وفى قلبه حب للناس واتبع شرع اللَّه وجعل من حياته حياة نابضة بالعمل الهادف لصالح الإنسانية كلها وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[التغابن] . والناس مع أنهم إخوة من أب وأم وسواسية فى الحقوق والواجبات فالذى يميزهم الإيمان والكفر لذلك يتمايزون بتقواهم وما يقدمونه من خير وعمل صالح وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾[الكهف] . . ويقول سبحانه: ﴿.. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. ﴿١٣﴾﴾[الحجرات] . .

لكل هذه الأسباب يجب أن تختفى كلمة (صراع) ويظهر دائماً كلمة حوار. . لأن جوهر الرسالات السماوية هو الدعوة إلى ترشيد السلوك الإنسانى بما يحقق قيام عالم متوازن بين الإنسانية كلها والكون الذى نعيش فيه. . إن الإنسان فى هذا العصر أصبح لديه الوفرة فى كل شىء وطوّع الكثير من الكون لصالحه. . لكن الإنسان ظلم نفسه فبدل أن يجعل العلم سبيلاً إلى شكر اللَّه الخالق. . وسبيلاً إلى منفعة الإنسان لإسعاده فى نفسه وإدخال الأمن على البشرية كلها. . فقد حوّل الإنسان العلم بغروره إلى سيف على رقاب العباد. . لأن العالم الذى يفتقد الحكمة يهدر حقوق الناس. . ومما يؤسف له أن الذين يدمرون البشرية يعلنون أنهم يدافعون عن حرية الإنسان. . لهذا فإن المحزن أننا نرى الخلل الكبير تتعرض له منظومة العلاقات الإنسانية لأننا نشاهد العبث بإفساد النوع الإنسانى. . وهو عبث خطير بالإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم. . ولكى تعود الإنسانية إلى رشدها فلابد من العودة إلى الدين الذى

حمله الأنبياء جميعاً ونؤكد على أن جميع الرسالات السماوية مصدرها واحد هو (اللّه) ولأن الرسالات فى تطورها من . . آدم . . إلى نوح . . إلى إبراهيم . . إلى موسى . . إلى عيسى . . إلى محمد عليهم جميعاً صلوات اللّه . . كانت لكل رسالة من رسالات الأنبياء طبيعة تتفق مع المجتمع وظروف المدعوين فى زمانها لكن أصيبت الإنسانية بشذوذ فكرى فرفضوا الدين وتعاليمه وأفسدوا الفطرة الإنسانية . . وألّهوا العلم . . والإنسان مهما أُوتى من العلم ومهما برع فيه وتفنَّن . . فما أُوتى الإنسان من العلم إلاَّ قليلاً وها هو اليوم أمام أعيننا . . الإنسان عاجز عن ألغاز . . الخلق والإبداع على غير مثال سابق . . فقد تفرّد بهما الحق سبحانه . . لهذا نقول للإنسان . . عُدْ إلى الدين ليعود إليك توازنك ورشدك وتعالى معى لترى أن الحق سبحانه وتعالى خاطب أهل الدين السماوى بألطف العبارات وأجمل الألفاظ فيقول . . ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾كما خاطبهم بما يليق واعتبرهم أصحاب علم ومعرفة لأنهم أهل كتب مقدسة فقال: ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ وفى القرآن تحدث عن العلاقة بين المسلمين وغيرهم . . فقال سبحانه للنبى الخاتم :﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ من قَبْلِكَ ... ﴿٩٤﴾ ﴾[يونس] . . ويقول سبحانه للمسلمين ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة].

هنا يقرر الحق سبحانه أن العلاقة بين الناس وإن اختلفت ديانتهم تقوم على العدل الذى هو إعطاء كل ذى حق حقه . . فالعدل والإحسان من الأمور التى تتم العلاقة على أساسهما . . كما أن الإسلام سمّى غير المسلمين داخل مجتمعه (أهل الذمة) أى أنهم فى ذمة المسلمين أى فى حمايتهم ورعايتهم لا يؤذيهم أحد ولا يسمح المسلم لأحد أن تمتد يده بالأذى إلى (أهل الذمة) فأهل الذمة لهم عهد الله وضمان رسوله وأمان جماعة المسلمين على أن يعيشوا فى حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامى آمنين مطمئنين لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات لأنهم فى العرف السياسى فى مجتمعنا المعاصر مواطنون من (حاملى الجنسية) . . فتأمين الحماية لهم فى الداخل أمر مطلوب بحيث تُحمى أبدانهم

ودماؤهم وإلى هذا أشار الرسول ﷺ: **«ألاَ مَنْ ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة»** [رواه أبو داود] . . فلا يجوز فى العرف الاجتماعى الذى وضع الإسلام قواعده إلحاق أى أذى بالمسلم أو غيره من قذف أو تجريح أو حتى غيبة غير المسلم . . يقول فقهاء المالكية: «إن عقد الذمة يُوجب حقوقاً علينا لهم . . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيّع ذمة اللّه»(١) . . وقد أكد الإسلام على تركهم وما يعتقدون لأن حرية الاعتقاد . . وممارسة الشعائر وصون أماكن العبادة من الأمور التى أقرها الإسلام وانظر إلى المعاهدة التى وقّعها النبىﷺ مع يهود المدينة جاء فيها (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلاّ مَنْ ظَلَمَ وأثم) وفى عهد الرسول ﷺ لأهل نجران (ولا يُغَيَّرُ أُسقف من أسقفيته ولا راهبٌ من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنيّة)(٢) . . وفى خطبة للصديق أبى بكر رضى الله عنه إلى جيوشه لتحرير العراق قوله: (وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا له) . . وفى عهد عمر بن الخطاب إلى أهل القدس ضمان واضح لحريتهم الدينية وحرمة معابدهم . . وعدم منعهم من آداء شعائر دينهم فقد جاء ما نصه فى المعاهدة (هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملّتها أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضار منهم أحد)(٣) . . ولعل أبلغ مثال على عدم الصراع بين أتباع الأنبياء هو ما حدث من سيدنا محمد ﷺ عندما أباح لوفد من نصارى نجران أن يدخلوا المسجد النبوى وأن يجلسوا فيه بضعة أيام وكانوا يمارسون شعائرهم الدينية داخل المسجد على مرأى ومسمع من رسول الله ﷺ ولعل هذا النموذج الفريد نطرحه على مسامع الإنسانية

---

(١) كتاب الفروق - جـ٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، وكتاب الخراج .

(٣) يراجع تاريخ الرسل والملوك - جـ٣ للإمام الطبرى .

اليوم لنقول لهم إن الإسلام لا يعرف الصراع أبداً وإنما يحث على الحوار الهادف لتحقيق التعارف بين البشر. . ووصولاً إلى التعاون مع جميع أفراد الجنس البشرى. . وهذه الحادثة تبين أن الإسلام دين تسامح ليس فيه تزمت ولا انغلاق ولا تشدد لأن الله سبحانه يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر. . ويخفف عنا لأنه بنا رحيم كريم.

والإسلام قادر على التعايش تحت راية السلام مع العقائد الأخرى. . لأن الإسلام دائماً يؤكد فى توجيهاته على التعامل بالأخلاق الكريمة مع جميع الناس. . واعتماده معياراً واحداً فى إقامة العدل الذى ينبغى أن يكون جوهر النظام الدولى. . لأن العدل أساس الملك وتمكيناً لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المائدة].

الصـــراع

هو نشاط موجود فى كل مكان . . لذلك فهو ظاهرة ثابتة فى واقع الإنسان والجماعة. . وينشأ الصراع من التناقض فى القيم أو التسابق فى المصالح بين أطراف كل طرف على وعى وإدراك بهذا التناقض مع توافر الرغبة لدى كل طرف للاستحواذ على هذه المصالح أو محو القيم التى يدعو إليها الطرف الآخر. . وواضح أن ظاهرة الصراع بدأت عندما تكونت أول أسرة على وجه الأرض. . فقد نشب خلاف بين أولاد آدم حيث كان أحد الأبناء يريد أن يأخذ ما ليس له رغم أن والده حذّره لكنه تمادى وقال لأخيه الذى له الحق ويريد أن يأخذه منه (قال المتطرف الإرهابى لأخيه) لأقتلنّك ثم طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله يُشير الحق إلى ذلك بقوله ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[المائدة]. . ولذلك يرى بعض المفكرين أن الصراع من هذه

اللحظة هو قانون العالم. . وأن العدالة ما هى إلا مصلحة الأقوى. . وأن الطبيعة هى حكم القوة . . والذين درسوا الصراع قالوا إمّا أن يكون عنيفاً أو غير عنيف. . وقابل للحل أو غير قابل. . وفرّقوا بين الصراع. . وبين التوتر . . لأن التوتر هو عداوة مستكنّة فى القلب مع خوف وشك واختلاف فى المصالح. . لهذا فإن التوتر يسبق الصراع. . والعلاقة بين أسباب كل منهما قوية. . والإنسان فى هذا التصوّر عليه أن يفكر ويستعمل عقله وأن يستمد التوجيه السديد من اللّه لأنه سبحانه سوّى نفس الإنسان وألهمها فجورها وتقواها وقد طلب الله من الإنسان أن يُزكِّيَ نفسه بالعلم وأن يكون صاحب قلب كبير وأن يصل نفسه باللّه صلة عبادة واستقامة وأن يعيش مع الناس يحب لكل واحد منهم ما يحب لنفسه. . وهناك نفس تقود صاحبها إلى الشر لأن صاحبها يجرى على حسب الهوى ويميل بانحراف إلى كل ما يشبع رغبته ولا يسمع نصح الناصحين ولا هتاف الضمير من الأعماق. . لذلك فإن صراعاً دائماً يجرى على مستوى النفس الإنسانية. . ويتأرجح الصراع . . بين الحلال والحرام. . والخير والشر. . والحق والباطل. . وهذا الصراع مرتبط بالقيم التى مرجعيّتها إلى الوحى الإلهى الذى أنزله الله على أنبيائه ورسله.

الارتقاء بالنفس

كل إنسان مطالب إزاء هذا الصراع بالارتقاء بنفسه الأمَّارة بالسوء وأن يقودها قيادة حكيمة حتى يستيقظ ضميره لتصبح نفسه لوّامة ولن يصل إلى هذه المرتبة إلاّ بجهاد النفس المستمر وإلى ذلك أشار الحق سبحانه ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي .. ﴿٥٣﴾** ﴾[**يوسف**] . . فإن هذب الإنسان نفسه وتمسك بالأخلاق العالية والأدب الرفيع فقد تصبح نفسه فى زمرة النفس اللوّامة التى أقسم بها الحق لطهارتها وصدقها باليقين فقال سبحانه ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾** ﴾[**القيامة**] . . وعن طريق التمسك بالقيم ومجاهدة الهوى والنهى المستمر للنفس حتى لا ترتكب المعاصى فإنها تصل إلى منزلة النفس المطمئنة التى يناديها الحق دائماً بقوله ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ .. ﴿٢٧﴾** ﴾[**الفجر**] والرسول ﷺ يقول لأصحابه بعد رجوعهم من غزوة ومعركة حربية «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى**

الجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النفس، والإسلام دائماً يضع خطة أمام الأعين لإقامة توازن بين احتياجات الإنسان .. فينبِّهه دائماً إلى الاعتدال فى كل شىء حتى فى العبادات التى بين العبد وربه ، ولهذا يقول الحق سبحانه ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴿٧٧﴾ ﴾[**القصص**] .

إن الإنسان عندما يفعل ذلك إنه يُغلق باب الصراع النفسى فى داخل أعماقه وهذا أول مراحل للسلام الذى هو ضد الصراع لأنه بتحقيق السلام فى داخل نفس الإنسان فسوف ينسحب ذلك على الأسرة فتعيش فى أمن وسلام ثم يكون بعد ذلك السلام العالمى .. ولهذا قال أحد العلماء (أقيموا دولة الإسلام فى أنفسكم تَقُم على أرضكم) إن الإسلام وهو يعترف بالصراع النفسى يوجه إلى كيفية حل هذا الصراع بأمور قابلة للتنفيذ كما أن الأمر كذلك بالنسبة لحل الصراع الذى ينشأ داخل الأسرة .. فالوحى الإلهى حافل بالتوجيهات لمعالجة أى صراع ينشب على صعيد الأسرة لأن الأسرة تنشأ بين زوج وزوجة برباط شرعى يباركه الخالق وقد أمر الحق سبحانه كل طرف من الأطراف (إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) .

كما نرى أن الإسلام لم يغفل عن معالجة الصراع فى المجتمع الذى يتشكل من أفراد يختلفون فى الوضع الاجتماعى .. لكن النظرة الصحيحة إلى أفراد المجتمع أنهم كالجسد الواحد .

ولهذا .. فرض الزكاة لتكون مصدر عون للمحتاج وليتعايش المجتمع فى ظل التكافل الاجتماعى إخوة متحابين فإن لن تف الزكاة فقد رغَّب فى الصدقة وحث عليها .. وأكد على مبدأ العدالة .. وأمر بالشورى .. وأمر بالإحسان إلى الجار وحث على التعاون وصدق الحديث ونهى عن الخيانة والغدر والآيات فى ذلك كثيرة وكل ذلك بغرض فض الصراع فى المجتمع ومعالجته عن طريق التمسك بالأخلاق الكريمة التى تبعث المحبة والمودة والألفة فى المجتمعات .. لأن الأخلاق القويمة هى التى تعصم المجتمعات من الانحلال وتصون الحضارة من الضياع .. ولهذا يقول الرسول ﷺ **«ما من شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق»** .. فالدين منهج

للأخلاق. . والأخلاق هى الدين بكل ما فيه . . والأخلاق هى ترجمة عن العقيدة. . والتعبير الواضح عن قوة الإيمان. . ولهذا يقول الحق سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[الأعلى]. . ويقول سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس]. . والقرآن يُبيِّنُ لنا أن ما جاء فيه جاء فى الرسالات السابقة لأن الدين كما قُلنا واحد والدين السماوى من عهد آدم إلى سيدنا محمد واحد يتفق (على) «**الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» فيقـــول الحق سبحانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام]. .

وسيدنا محمد ﷺ كان اليهود يُساكنونه فى المدينة وكانوا يحتكمون إليه فى الأمور التى تتعلق بمصالح الدنيا . . والتى يحكمها قانون الأخلاق العام وكانوا كثيراً يُعرضون عن حكمه ويقولون بأن شريعتنا غير ذلك فأنـــزل اللـــه فى شأنهم ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ. . ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة]. . لكن اليهود لما أنكروا ذلك وأنكروا أن التوراة تحث على التمسك بالقيم الأخلاقية وحب الناس والتعاون معهم كان ردّ الله عليهم ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[آل عمران]. .

لقد أفحمهم الحق وأخرصتهم الحُجّة . . هذا ونقرأ فى سفر التثنية (الإصحاح الخامس) ما نصه (أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكى تطول أيامك ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . . لا تقتل . . ولا تزن . . ولا تسرق . . ولا تشهد قريبك شهادة زور . . ولا تشته إمرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك . . ولا حقله . . ولا عبده . . ولا أمته . . ولا ثوره . . ولا حماره . . ولا كل ما لقريبك) بهذا جاءت شريعة الله على كل لسان رسول ونبى فعلى ما يكون الصراع الذى ينشأ فى المجتمع . . ونقرأ كذلك فى إنجيل متى (الإصحاح الثانى والعشرين) ما نصه (قال يسوع . . تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . . هذه هى الوصية الأولى والعظمى . . والثانية مثلها . . تحب قريبك كنفسك . . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء) علاوة على ذلك جاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية (الإصحاح الثالث عشر) ما نصه (لا تكونوا مديونين لأحد بشىء إلاّ بأن يجب بعضكم بعضا . . لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس . . لا تزن . . لا تقتل . . لا تسرق . . لا تشهد الزور . . لا تشته . . وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك . . المحبة لا تصنع شراً للقريب فالمحبة هى تكميل الناموس).

إن الإنسانية يوم أن تعيش فى ظل القيم التى جاءت فى رسالات الأنبياء فسوف تتعايش الإنسانية كلها فى ظلال الإخاء الدينى . . لإن الإخاء الإنسانى فى الإسلام له مظاهر متنوعة أهمها عند المسلم أنه يحب للناس جميعاً ما يحب لنفسه ففى الحديث عن رسول الله ﷺ **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»**[رواه البخارى ومسلم] . . والإخاء الإنسانى فى الإسلام شامل لجميع شئون الإنسانية وكل ما يحقق لها أمن الحياة ونعيمها ويوفر لكل فرد على ظهر الأرض الحرية التامة والكرامة بين الناس والأمن والسلام . . لهذا يقول الرسول ﷺ **«يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلاّ بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم»**[رواه ابن حبان] . . وزيادة فى دعم الأخوة الإنسانية يدعو الرسول ﷺ إلى التعامل بالرحمة مع كل الناس فيقول عليه الصلاة

والسلام: «**ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**»[رواه البخارى] . . ويقول أيضاً: «**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**»[رواه الترمذى] . . وإن الإنسان ليعجب أشد العجب وهو يسمع من فم النبى الطاهر يوجه كلامه لأتباعه ويوصيهم بأن يتعاملوا بالرحمة مع البشر وكذلك مع الحيوان فيقول عليه الصلاة والسلام «**بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فشرب فخرج.. فإذا بكلب يلهث .. يأكل الثرى من العطش .. فقال الرجل.. لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بى .. فنزل البئر .. فملأ خفه .. ثم أمسكه بفيه .. فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له .. قالوا يا رسول الله.. وإنّ لنا فى البهائم أجراً؟ قال: فى كل ذات كبد حرى أجر**» [رواه مسلم] . . وإذا كان الرفق والرحمة بالحيوان قد بلغ هذا المستوى العالى فكيف لا يكون بنو الإنسان متعاطفين متراحمين متعاونين متآلفين . . والحق سبحانه وتعالى يؤكد على أن الإنسانية أصلها واحد وقد استخلفها الله على الأرض لتتعارف وتتجانس وتتعاون لذلك يقول الحق سبحانه :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** . . . ﴿١٣﴾ ﴾[**الحجرات**] . . فالإسلام يجعل للإنسان طبيعة مكرمة لا تتقيد بجنس أو دين أو مكانة اجتماعية . . يستمد الإنسان حقوقه من الكرامة الإنسانية . . ولهذا لا يجوز أبداً أن يتعرض إلى تفرقة فى المعاملة بسبب العرق أو اللون أو الدين . . ولا يصح أن يتعرض شخص إلى اضطهاد أو ظلم أو إيذاء . . لأن الإسلام أكد على حقوق الإنسان واعتبرها من الواجبات التى يحرص عليها كل فرد لنفسه بحيث يأثم من يفرط فيها . .

لهذا بلغ من حرص الإسلام على حياة الإنسان . . أى إنسان قول الله تعالى: ﴿ . . **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** . . ﴿٣٢﴾ ﴾[**المائدة**] . . ومن باب احترام الإنسان بغض النظر عن ديانته . . حدث أن جنازة مرت على رسول الله ﷺ . . فقام لها . . فقيل له إنه يهودى . . فقال مستنكراً «**أليست نفساً**»[رواه النسائى] . . إن الذين يُسيئون من اتباع الأنبياء إلى غيرهم بسبب تصرفاتهم إنما يسيئون إلى دينهم وأنبيائهم ولذلك نرى أن عمراً بن الخطاب (الحاكم العام للمسلمين) حاسب عمرو بن العاص

(محافظ إقليم مصر) حساباً شديداً . . لأن ولد عمرو ضرب واعتدى على ابن قبطى من مصر . . وكان القبطى قد قدّم شكوى ضد ابن عمرو وأقيمت محاكمة وانتهت بإدانة ابن عمرو . . بعد ذلك وجّه عمر كلامه لعمرو لأن ابنه ما فعل ذلك إلاّ اعتماداً على مركز أبيه . . لذلك قال عمر عبارته التى ظلت تقرع سمع الزمن منذ أكثر من (١٤٠٠عام) (يا عمرو . . لِمَ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) ثم طلب عمر من ابن القبطى أن يقتص من ابن عمرو وقـال له (اضرب ابن الأكرمين) فاللـــه تبـــارك وتعالـى يقــول: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة] . . وهذا حدث قبل أن تعرف الإنسانية (حقوق الإنسان) لأن الرسول الأعظم ﷺ أول من وضع حقوق الإنسان وبينها فى حجة الوداع . . أما الإعلان الذى صدر عن الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩) . . فهو متأخر جداً والتاريخ أكبر شاهد على فضل الإسلام على الإنسانية كلها.

إن التضامن الاجتماعى يجب أن يسود بين الناس جميعاً وأن على الغنى أن يمد يده للفقير . . وانظر إلى ما سجّله التاريخ للتعامل الكريم لغير المسلمين فى مجتمع المسلمين . . فقد روى المؤرخون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مرَّ بسائل يسأل الناس الصدقة وكان رجلاً مُسناً يهودياً ضريراً فاصطحبه عمر وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: (انظر هذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم)[١] . . وهذا ما نسميه بالضمان الاجتماعى كما أنه حدث (أن خصومة وقعت بين على بن أبى طالب ويهودى . . ورفع اليهودى شكواه إلى عمر بن الخطاب وأقيم مجلس قضاء يرأسه عمر ونُودى على الخصوم . . فوجّه رئيس اللجنة كلامه إلى على . . قف يا أبا الحسن . . فظهر الغضب على وجه الإمام على . . فقال له عمر . . أكرهت أن نُسوِّى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟ فقال على . . لا . . ولكنى كرهت منك أن عظَّمتنى فى الخطاب فناديتنى بكنيتى ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى)[٢].

---

(١)، (٢) يراجع فى ذلك كتاب الفاروق عمر بن الخطاب - عبدالرحمن الشرقاوى - العدالة العمرية ومبادئ الإسلام - عبدالعزيز حافظ دنيا.

إن الإنسانية اليوم تعيش عصر الانبهار من المخترعات الحديثة . . والسماء المفتوحة . . والبث الإذاعى والتلفزيون والإنترنت إلى غير ذلك مما يجعل العالم ينبهر بكل هذه الأشياء ويعلن أن هذا عصر الحضارة حيث طُويت المسافات وأصبح العالم كله يعيش فى خندق واحد . . فما يقع فى الصين تراه أمريكا فى التو واللحظة وما يقع فى أمريكا تراه الدنيا بأسرها لكن للأسف (تفشّت الأميّة الدينية) وأصبح الناس لا يعرفون عن الدين إلاّ القشور والأمور المغلوطة . . ذلك لأن صوت المؤسسات الدينية اختفى . . فالحياة صاخبة . . والقوى هو الذى صوته مسموع. . لهذا كان علينا أن نعلن على الدنيا بأننا فى هذا العالم الذى يموج بالاضطرابات ويستيقظ من نومه على دَوِىّ المدافع . . وينام وصوت الانفجارات يُدوِّى فى أذنه . . ويقرأ ويسمع ويشاهد ما يجرى من تدمير وخراب وقتل للأطفال والأبرياء والشيوخ والنساء. . والذين يفعلون ذلك يقولون. . نفعل بوحى من ديننا وهدى نبيّنا . . ولكننا نقول لهم. . لا تفتروا على الله الكذب . . ولا تُسيئوا إلى أنبيائكم . . وإن كنتم لا تفهمون فبدل الصراع تعالوا . . إلى مائدة الحوار. .

والإسلام الذى نؤمن به وندعو إليه . . يعترف بوجود الصراع . . ولكنه اعتنى عناية كبيرة بمعالجة الصراع . . سواء أكان الصـــــراع النفسى. . أم الاجتمـــــاعى. . أم الدولى . . والإسلام وهو يواجه ما ينشب من صراع بين الشعوب والأمم . . فإنه يضع العلاج لهذا الصراع من خلال تصور متكامل للعلاقات الإنسانية والقيم التى يجب أن تسود بين الأفراد وبين الناس جميعاً . . فإن كان هناك بغى وعدوان من مجتمع ضد مجتمع فإن الإسلام وضع قاعدة أساسية وهى قوله سبحانه: ﴿ .. فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ ﴾[الحجرات] . .

إن الإسلام بطبيعته يحث على الحوار الهادف لتحقيق التعارف ووصولاً إلى التعاون بين الأمم والشعوب والدول والتجمعات الإقليمية لتحيا الإنسانية فى ظل الأمن والسلام.

المفهوم الإسلامى للحوار

يعيش المجتمع الإنسانى فى هذه الأيام فى ثورة اتصال إعلامى . . نتج عن ذلك تأثير مباشر على الفرد والجماعة . . لأن البث الإعلامى لا يتوقف لحظة من ليل أو نهار . . فالإرسال الإذاعى لا يتوقف عن البث لحظة . . ناهيك بالتليفزيون . . ودور العرض السينمائى والمسرحى . . علاوة على الملصقات فى الشوارع والميادين . . والندوات والمحاضرات فى الأندية العامة والمحافل الخاصة . . كل ذلك أصبح له تأثيره فى اتجاه رأى الفرد بل والجماعة . . والإسلام فى وسط كل هذا الحشد الهائل من وسائل الإعلام له وسيلة خاصة يخاطب بها الجماهير المسلمة رغم استفادة المسلمين من كل ما قلناه لأنه رغم تعدد هذه الأجهزة . . وما يبذل فى سبيل تطويرها من جهود مالية وفنية مع دقة التخطيط ضماناً لاستمرار أدائها وجذب الأنظار إليها . . إلاّ أنه مع ذلك نجد أن المسجد ما زال يحتل المكانة الأسمى فى نفوس المسلمين ومنبره يمثل أقوى صوت يُوجّه للناس . . ولا عجب فى ذلك . . لأن رسالة المسجد الإعلامية هى فى مجموعها رسالة الله لصالح الناس وسعادة البشر . .

لهذا فإن الذى يدخل المسجد ويتلقى من على منبره العظات والتوجيهات تزكو نفسه . . وتقوى صلته بربه . . ويشتهر بين الناس بالسلوك الحسن . . يتعلم فيؤدى عمله بإتقان ويُرتب فكره فيجوِّد فى الأداء ويتقن صنعته ويحب للناس ما يحب لنفسه . . لذلك تجده الصادق الأمين الذى يتسم بالمروءة ويتسلح بالأخلاق . . لهذا فقد تفوّق المسجد فى حُسْن صلته بالناس وجذب الجماهير إليه وأصبح صوته أعلى من أجهزة الإعلام التى حوله وتأثيره فى حياة الناس أقوى . . من هنا . . كان المسجد ومازال جامعة إسلامية تؤدى رسالتها على مر العصور . . تقدم للمجتمع العناصر الصالحة التى تعرف واجبها فتؤديه كاملاً . . رغبة فى رضوان الله وطمعاً فى مثوبته .

إن المسجد سفينة نجاة لهذا المجتمع الإنسانى الذى أصبح يموج بالانفعالات النفسية. . والتخبط والحيرة. . مع الغرق فى أوهام الحياة. . والمسلمون مطالبون بأن يُقدموا للعالم. . علاجاً لكل مرض من خلال المسجد ودوره وأن يكون ذلك بلغة العصر (الحوار) لأن المسلمين هم أعرف الناس بمرض المجتمع وبيدهم العلاج من (كتاب اللــه . . القرآن الكريـم) لأنه ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴿١﴾ ﴾[هود] . . وإن كان هذا كلامنا كمسلمين لكن . . ردّده عقلاء أعداء الإسلام. . فهذا هو (برنارد شو) أحد فلاسفة الغرب يقول :(لو كان محمد بن عبدالله حياً وبيده كتابه لقاد سفينة المجتمع إلى بر الأمان وشاطىء السلام) والفضل ما شهدت به الأعداء. . والقرآن الكريم يرسم لأتباعه منهج الحوار الذى يتم بين الأفراد فى جو تسوده الأخوة وبحيث يكون عند الإنسان المحاور إيمان فى نفسه قوى بأنه بحواره يهدف إلى تصحيح الفكر وتوضيح معالم الطريق الصحيح. . كذلك اعتقاده بأن اختلاف الرأى لا يُفسد للود قضية وأنه لا ينتصر لنفسه أبداً وإنما ينتصر للحق والقرآن يوضح ذلك فى قوله ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران] . .وفى القرآن الكريم نقرأ الحوار الذى جرى بين الأنبياء وبين الشخصيات العامة التى تتزعم المجتمع . . وفى حوار الأنبياء مع هؤلاء يتبين لنا الأسلوب المهذب. . ويتجلى لنا بوضوح المعانى الجميلة التى تظهر على ألسنة الأنبياء. . كذلك نلحظ أن الأنبياء يتحلون بالرد الجميل والموضوعية لتجلية الحقيقة. . مع ضبط النفس عن أى انفعال يكون له مردود سيء مع سعة الصدر والحلم. . وتقرأ ذلك فى مطلع سورة الشعراء. . وسورة طه. . وسورة الأعراف . . وسورة البقرة إلى غير ذلك مما يقرأه قارئ القرآن ويظهر أمام عينى أى فرد أن الحوار الإسلامى يتسم بالموضوعية بكلمات موجزة وسياق الأدلّة وضرب الأمثلة المتصلة بالموضوع . . فمثلاً يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي**

كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[البقرة] . . وكالحوار الذى دار بين السحرة الذين جمعهم فرعون ليبطلوا سحر موسى كما توهَّم فرعون . . لكن السحرة بعد لقائهم بموسى عرفوا أن موسى ليس بساحر وأنهم أمام معجزة تؤيد النبى فى دعواه . . لكن فرعون توعَّد السحرة وهدّدهم بعد أن غُلبوا وانقلبوا صاغرين . . وسجدوا للّه مُوحِّدين ولسانهم يُردِّد ﴿ . . آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[الأعراف] . . وتقرأ نفس الحوار فى سور طه فيقول الحق . . أن فرعون قال للسحرة ﴿ . . . آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾[طه] . . وتقرأ نفس الحوار فى سورة الشعراء ومع تنوع الأسلوب لإبراز الحقيقة جَلِيَّة وواضحة فى ذهن القارئ أو المستمع وحتى يتدرب أتباع الدين على أسلوب الحوار الذى يوصل إلى الحقيقة مع اختلاف المواقف لكن الغرض واحد . . كذلك نقرأ حواراً بأسلوب ممتع يتضح منه الفهم الواسع لسيدنا نوح لتحقيق هدفه . . وهو . . أن يفهم الناس أصول رسالته وهدف دعوته ففى سورة الشعراء يقول الله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي

لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[الشعراء]. . نفس الحوار تقرأه فى سورة الأعراف بألفاظ مختلفة لكن المعنى واحد الأمر الذى يجعلنا نقول بأن القرآن منهج للمسلم يتزوّد منه لأنك سوف تقرأ قصص الأنبياء وأسلوب حوارهم مع أقوامهم وهذا زاد للمسلم عظيم ومفهوم رائع للحوار الذى يهدف من ورائه شرح الإسلام وتبسيط مفهومه وأنه دين يتسم باليسر والسماحة ولن تجد الإنسانية أفضل منه كى تحقق لنفسها به الأمن والاستقرار والتعايش السلمى فى ظل الأخوة الإنسانية. . والذى يقرأ القرآن الكريم يجد فيه أن الله سبحانه وتعالى أمر الأنبياء أن يتسموا بالحلم والصبر وسعة الصدر . . لذلك قال الله لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون ليقوما بإبلاغ رسالة الله إليه وهو الذى نادى على المصريين وقال لهم : ﴿.. أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات] ثم قال لهم معللاً ربوبيته ﴿ . . .أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي .. ﴿٥١﴾ ﴾[الزخرف]. . ثم يبرهن على سفاهته ونقص عقله فيغمز فى حق موسى ويقول لقومه : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزخرف]. . بعد كل هذا التدنى والسفاهة يقول الله لموسى وهارون : ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه]. . هذا هو أسلوب الأدب واحترام الغير وهذه قيم الدين السماوى الذى بعث الله به الأنبياء. .



الفصل الثالث

أسلوب الحوار

الفصل الثالث
أسلوب الحوار

المسلم مطالب أن يتعلم أسلوب الحوار لأنه لغة العصر . . وأسلوب الحوار يقوم على توضيح المعنى المراد توصيله إلى الغير . . وهو يحاور غيره عليه أن يكون فاهماً للموضوع الذى سيحاور فيه محيطا بأبعاده عنده إلمام بالمناخ الاجتماعى للبيئة التى عاش فيها محاوره وغرضه من ذلك :

١ - ترتيب الأولويات فى الموضوع مع ربط كل جزء بالموضوع مع بعضه .

٢ - توضيح المضمون الإسلامى الذى سعدت تحت ظلاله الإنسانية .

٣ - تصحيح المفاهيم الاجتماعية .

إن المجتمع الإنسانى اليوم وصلت إلى مسامعه الكثير من الافتراءات على الإسلام وهذه الافتراءات خطط لها أعداء الإسلام بدقة ومهارة فنية وبذلوا فى سبيل وصولها إلى الناس الكثير من الأموال وتم ذلك فى غيبة الوعى الإسلامى . . وأصبح الواجب علينا كمسلمين أن تنهض مؤسساتنا وتخطط لإدارة حوار فى كل الأماكن على ظهرالكرة الأرضية والغرض من ذلك إبراز قيم الإسلام الحضارية وإبعاد الزيف عن الإسلام طوال مسيرته . . وكشف الغطاء عما فى الإسلام من تربية للفرد باعتباره الأساس للجماعة وتربيته على قيم أخلاقية عالية من شأنها إن سادت فى دنيا الناس تكون سبباً فى تقدم المجتمع ورفاهية الأمة ونشر السلام وتحقيق الأمن وإبراز خصائص الإنسان الذى يعرف للوطن قدره وللمجتمع حقه وللإنسانية مالها عليه من حقوق . . ونقرأ فى ذلك قصة الرجل المؤمن الذى كان من آل فرعون وهو يكتم إيمانه حتى لا يُعذبه الكفرة أو يحبسوه . . لذلك يسوق الحوار بلغة الاستفهام ويقول للقوم ﴿ . . أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا.... ﴿٢٩﴾ ﴾[غافر] . . هذا الكلام قاله الرجل المؤمن الذى يكتم إيمانه رداً على فرعون الذى يقول لقومه : ﴿ ... ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾[غافر] . . فكان رد الرجل المؤمن الذى يكتم إيمانه ما قاله . . لذلك تراجع فرعون لأن حُجّة الرجل قوية ومنطقه سليم، وقال: ﴿ ... مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾[غافر] . . لكن الرجل المؤمن يواصل شرح الحقيقة ويُبيِّن للناس ما خفى عليهم يذكر لنا القرآن الكريم هذا الموقف فيقول: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[غافر] . . وتقرأ هذه القصة فى سورة غافر بدءاً من الآية ٢٥ إلى الآية ٤٦ وفيها يقول الرجل المؤمن ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾[غافر] . . إن الإيمان بالله يصنع الإنسان المتميز الفاهم المتسم ببعد النظر المعبر بجميل العبارة الذى لا يجرح شعور أحد ولا يُكْرِه أحداً على اعتناق عقيدته وإنما هو يوضح الأمور ويُبيِّن الحقائق ويضع العقل الإنسانى أمام مسئوليته بفطانة وذكاء ولباقة وبعد نظر وتقدير للموقف لأن المؤمن دائماً ينشر الحقيقة والحكمة ضالته أنَّا وجدها فهو أحق الناس بها ويتجلى ذلك كذلك فى الحوار الذى دار بين موسى عليه السلام مع العبد الصالح حيث شاهد موسى من أفعال العبد ما جعله يلح فى الأسئلة ويُكثر فى الحوار ليصل إلى لب الحقيقة ومعرفة الأساس الذى بنى عليه العبد أفعاله وكان العبد الصالح يتسم بالصبر مع طول البال . . ولما شرح العبد لموسى سبب الأفعال اطمأن قلبه وهدأت نفسه بعد أن كان ثائراً ونقرأ ذلك فى سورة الكهف من الآية ٦٠ إلى الآية ٨٢ . . وأنت سوف تجد متعة وأنت تقرأ هذه القصة وتشاهد أحداثها وتتعلم من أسلوبها أدب الحوار الجاد الذى يوصل إلى إبراز الحقيقة ناصعة جلية . . لهذا فإننا نريد أن نؤهل أبنائنا ليتعلموا أدب الحوار كما رسمه الحق سبحانه وكتاب الله خير مرشد ومعين لمن يريد الخير ويبتغيه.

إن أسلوب الحوار يجب أن يكون واضحاً ومفهوماً ليكون له ثمرة ومن ورائه نفع وليقتنع الجمهور الذى يتابع الحوار أن وقته لم يذهب سُدى . . وكذلك أحد أطراف المحاورين يقتنع برأى الآخر . . المهم أنه لكى يتم ذلك لابد من تحديد المفاهيم مع سياق الأدلة .

الحوار فى رسالات السماء

إن رسالات السماء تؤكد دائماً على نشر التسامح بين الناس . . حفاظاً على أُخُوَتهم الإنسانية . . لأن الدين فى حد ذاته يدعو إلى الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة والمعاملة الحسنة (فالدين المعاملة) لذلك فإن الدين يحث أتباعه إلى أن يجلسوا مع بعضهم لحل أى صراع ينشب بينهم وذلك عن طريق الحوار الحضارى وتفعيله . . ولن يكون الحوار هادفاً وعاملاً أساسياً فى إزالة جو التوتر والقضاء على الصراع حتى تظهر بوادره وتكون بحرص المشتركين وإخلاصهم على إنجاح الحوار . . وتفهم المشكلات المتبادلة بين الأطراف . . على أنه يجب أن يركز الحوار على إشاعة القيم الأخلاقية واحترام الرصيد الحضارى لكل شعب . . والقيم الحضارية هى قاسم مشترك بين مختلف الأمم . . ولكن هناك عوامل اجتماعية وظروف مناخية واختلاف فى الألوان واللغات وتباين بين بعض الشعوب . . فيكون محور الحوار هو إيجاد إطار حضارى علمى مشترك بين الأطراف ثم يكون الاحترام المتبادل لكل حضارة قامت بذاتها مع إيجاد جو من التفاعل بين هذه الحضارة وغيرها لأن لكل دولة خصائص فى حضارتها تُجسِّد مُعطيات الأمة بما يُلبى طموحاتها وتطلعاتها والحفاظ على قيمها وثقافتها .

لذلك فإننا نرفض المقولة التى تقول . . التطور الإنسانى له طريق واحد يجب الأخذ به . . لكننا نحن المسلمين نؤمن . . بالتعدد الحضارى فى الجماعة الإنسانية لأن كل وطن يعتز بهويته . . والانفتاح على الحضارات الأخرى أمر مُهم جداً لأن الإنسانية تأخذ من بعضها وتُعطى . . والإنسان عندما يعتز بهويته فإن ذلك لا يعنى الانغلاق فى مواجهة المجتمعات الأخرى ورفض نتاجها الإنسانى لأن مثل هذا

الموقف سَلبى وانعزالى ولا ينسجم أبداً مع مقتضيات الحوار ومتطلباته. . والعالم الآن يعيش فترة انتقال حضارى حافلة بالكثير من قوى التغيير والتفاعلات الثقافية. . وقد سبق هذه الفترة صراعات فكرية. . ونزاع اقتصادى. . وصدام عسكرى كل ذلك أدّى إلى تصدع المجتمعات وضياع الملايين من البشر وغاب الوعى عن الإنسانية التى ابتعدت عن هدى الأنبياء. . ولكن برزت الحاجة إلى الحوار كمطلب حضارى ليكون طريقاً إلى تقارب المجتمعات والتعاون بين الحضارات . . وإرساء قواعد السلام. . والحمد للَّه الإسلام الذى حمله سيدنا محمد خاتم الأنبياء . . يُؤصِّل منهج الدعـــوة إلى الحوار الحضارى . . ويدعو إلى التواصـــل الإنسانـــى ويُرغِّب فى التعايـــش السلمى بين جميع الناس. . فشعـــاره ﴿ . . **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ. . . .** ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران].

إن الحوار هو أفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجاً لنقل معلوماته إلى غيره على أن يتسم المحاور بالثقافة المتنوعة والعلم الذى يخدم المحاور فى إزالة الشُّبه التى تشوب فكر الآخرين . . والحوار هو لغة العقلاء لذلك يتسم المحاور بالحلم والمرونة وعدم التعصب. . والبعد عن الجدل الذى يخرج أسلوب الحوار عن غايته . .

والمسلمون أشد الناس حرصاً على تدعيم القيم الأخلاقية . . ونشر أصول دينهم فى المجتمع الدولى . . ولابد لهم من التعرف على ما يجرى من مشاكل على الساحة الدولية . . والشباب . . الذين يمثلون شريحة عمرية . . علينا أن ندربهم وأن نُصقل موهبتهم وأن نجعلهم يتعايشون مع القرآن الكريم لدراسة ما ورد فيه من حوار بين أنبياء الله ورسله مع أقوامهم لأن القرآن الكريم ساق لنا من المبادئ السامية . . والآداب العالية ما ينظم لنا المحاورات والمناظرات التى تحدث بين الناس وما يجعلها تدور فى إطار من المنطق السليم والفكر القويم وما يجعل هدف الحوار الوصول إلى الحق والخير ومنفعة الناس. . ولما كان لكل أمة ثروة تعتز بها وتعمل على تنميتها وتحافظ عليها فإن الشباب أعظم ثروة لذلك فإن الدين الإسلامى يوجه عناية المسئولين والآباء والأمهات على تعهد الأولاد منذ نعومة أظفارهم وتنشئتهم على مكارم الأخلاق وتعوديهم على العادات الحسنة وتدريبهم على ممارسة العبادات التى أمر اللَّه

بها وفرضها على كل مسلم . . كالصلاة . . فإنها ينبوع سعادة للفرد . . ووسيلة لتحقيق الصحة النفسية وتدريب على العمل الاجتماعى مع حفظ القرآن الكريم ليكون سليم النطق فيتكلم بالجمل المفيدة . . وينطق بالحروف السليمة . . والشباب لابد أن يتدربوا على أدب الحوار وقيمه وأن يتخذوا النبى محمداً ﷺ قدوة لهم فيقرأون سيرته ويتعايشون مع أقواله وأفعاله . . ولا ينغلقون على أنفسهم . . ولاتنحصر ثقافتهم فى ثقافة مجتمعهم ولا تنتهى آمال الواحد منهم عند موقع بصره . . وإنما لابد لكل شاب أن ينفتح على العالم وأن يتعرف على الأحداث الدولية . . والمتغيرات الاجتماعية . . فى الأفكار والصناعات . . لأن شباب المسلمين يعيشون فى وسط أمّة . . دينها عالمى . . جاء لقارات الأرض كلها ولكى تقوم الأمة بنشر دين ربها على الوجه الصحيح . . فلابد أن تُعدَّ شبابها لينزل إلى الساحة الدولية وهو مسلح بقسط من الثقافة وزاد من العلم . . ومعرفة بلغة مَنْ يتحدث إليهم . . وعلم بالحالة الاجتماعية التى تسود عند مَنْ يخاطبهم . . لهذا يقول الحق سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة] . . لهذا كان على الآباء والمعلمين أن يشركوا الأطفال والشباب معهم فى حوار أُسرى يهدف إلى . . صقل موهبة الإنسان منذ صغر السن . . وإعطائه ثقة فى نفسه . . أما حوار المعلم مع طلابه فهو لتوسيع مدارك المتعلم وزيادة ثقافته . . ولو تم إشراك الأطفال والشباب فى حوارات مع بعضهم مع إشراف الأساتذة وتوجيههم فإن ذلك يُعطى للشخص شعوراً بالثقة فى نفسه وتأكيداً لذاته ويكون له أثر فعَّال فى نفوسهم ويجعل منهم عمالقة فى الفكر والثقافة مع حسن الأدب فى الحوار .

إن أعداء المسلمين حاولوا وما زالوا يعملون بجد على طمس هوية المسلم وحشو عقله بمعلومات لا تُسمن ولا تُغنى . . لهذا فإن علينا أن نعمل على صياغة العقل الإسلامى من جديد وأن نحتضن شبابنا برفق ونعلّمهم ترتيب الأولويات وأن نشركهم فى حل قضايا أمتهم لأنها بالنسبة لهم قضايا مصيرية . . ونحن إذ نهيؤهم وندربهم لأنهم غدا حماة الوطن وقادته وأرباب الفكر فيه . . فإنه لكل زمان

رجال . . وعلينا أن نُعدَّهم إعداداً قوياً ومتيناً . . وأن نحصِّنهم بالعقيدة والتدريب على العبادات حماية لهم من أن يذوبوا فى أى مجتمع أو تُبهرهم أى ثقافات .

صراع الحضارات

الحضارة هى نتاج عقل مفكر لديه قدرة على تقديم الأولويات مع تخطيط منظم منضبط على النظريات العلمية المبتكرة . . وقد يكون للبدن عمل فى إرساء دعائم الحضارة فيكون بالدقة وحسن الأداء . . وغرض صناع الحضارة من ذلك . . انتفاع الإنسانية بذلك . . لهذا فإن المجتمع الإنسانى قامت عليه حضارات منذ أن هبط آدم إلى الأرض إلى يومنا هذا . . ويد البناء والتعمير تعمل فى صرح الحضارة الإنسانية لأن كل جيل يدفع بنتاج عقله وما اكتسب من علم وما حصَّل من ثقافة إلى الجيل الذى بعده . . وسوف يشهد المجتمع الإنسانى تقدماً رهيباً فى كل مناحى الحياة لأن الأرض سوف تأخذ زخرفها وتتزين للناظرين . . وسوف تكشف الأيام القادمة عن وسائل أكثر مما نعيش فيه الآن لذلك فإن أطفالنا وشبابنا . . خُلقوا لزمان غير زماننا . . والمسلم مطالب أن يتعايش مع هذه الحضارات . . وأن ينتفع بالتقدم الصناعى والاختراعات التكنولوچية . . والتطوير الزراعى . . ونحن مطالبون أن ننتفع بكل ما فى هذه الحياة وأن نتعايش مع الحضارة على أن نكون مشاركين فى قيامها مساهمين فى نهضتها . . إيجابيين فى رُقيها وتطورها . . وعلينا أن نهتم بدراسة الآثار لأنها قامت فى ظل حضارات سابقة . . وتكون الدراسة عن أسباب عوامل الضعف الذى لحق بالمجتمع . . والحكم الذى نشأت فى ظله الحضارة وإلى ذلك أشار الحق سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴿١٣٧﴾ ﴾[آل عمران] . . وقوله سبحانه : ﴿ **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴿٩﴾ ﴾[الروم] . .

إن الحوار مع الحضارات له أثره الفعّال فى حل الصراعات وفض المنازعات ومن وراء ذلك خدمة الدين الإسلامى وإقناع الناس به عن جدارة . . لأن بعض الناس يعتقدون أن الإسلام هو سبب تأخر الشعوب لأنه حجر على عقول أتباعه فليست لديهم القدرة على مواجهة الحضارات المتقدمة والتى نهضت بعقول أبنائها عندما خلعوا الدين ونبذوه وراء ظهورهم . . (كما يذعمون) . . لكنهم فى ظل الحوار يتبيّن لنا أن الدين الإسلامى يُعلن مُعتنقه على الدنيا بأسرها أن الإسلام هو الذى حرر العقل . . وأمر بطلب العلم من المهد إلى اللحد . . وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . . ورغّب فى تعليم الكبار ومحو الأمية وحث على التدريب وتَعلُّم الحرف اليدوية مع الحفاظ على الصناعة البيئية لكن مع تطويرها والرقى بها والابتكار فى أساليب التجويد والنهوض بهذه الصناعة . . وقد ثبت ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج القوية . . والتاريخ أكبر شاهد . . ولكى نُزيل الغشاوة عن عيون أعداء الدين فلابد أن يكون عندنا فئة من الشباب يعرفون حضارة الإسلام التى ملأت الدنيا بعد أن حوّلت الأمة العربية من رعاة غنم إلى قادة أمم . . وحكمت الدنيا بالعدل وتعاملت مع الناس بالتسامح وحافظت على حضارات الآخرين . . ولم تعمل أبداً على طمس معالم الحضارات السابقة ولا على تذويب معالم الشعوب الاجتماعية ولا على محو هويتهم وإنما كانت تتعامل مع الإنسانية كلها . . بالتسامح والرفق واللين والإحسان . . لأن المسلم له منهج هو (كتاب الله) الذى أُحكمت آياته . . حوى بين دفتيه الحديث عن آثار السابقين . . والمسلم مطالب أن يحافظ على تراث الإنسانية وأن يدرس هذه الحضارة من كافة جوانبها . . لأن الإسلام عندما رغبنا فى حوار الحضارات فقد نهى عن الصراعات ورغبنا فى أن نتعرف على حضارات الغير . . ونعرفه بحضارتنا التى تتعايش فى تناغم ومودة مع أى حضارة قامت على أى أرض . .

الحوار فريضة

إننا أصحاب دعوة إلهية . . ونؤمن بنبى هو خاتم الأنبياء . . ونؤمن ونعترف بالأنبياء جميعاً الذين سبقوا النبى محمداً ﷺ ولما كان النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء . . فإن رسالته (عالمية) لا تخص جنساً ولا لوناً ولا عرقاً ولا بلداً وإنما هى

رسالة لكل الناس فى أى زمان وفى أى مكان لذلك فهى تؤكد على الإخاء الإنسانى.. تدعو إلى التعايش السلمى .. تستهدف الخير وتقدم أُسس السعادة وتحث على العمل لنماء الإنسانية كلها.. والإسلام قد أقر باختلاف الناس والأجناس ووضع أُسس العلاقة للمسلمين ليتعايشوا مع سائر البشر على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم الحضارية .. وأكد على وحدة الأصل البشرى حتى تتأكد روابط الأُخوة الإنسانية .. كما اعترف الإسلام بواقع الرسالات السابقة وأن علاقته بها قائمة فى نفس الوقت أكد على مبدأ (حرية الاعتقاد) فلا إكراه فى الدين .. وذلك أساس للإخاء الإنسانى والتعايش السلمى والرسول عليه الصلاة والسلام ليس بمسيطر على الناس.. والاعتداء على أى إنسان أمر مرفوض .. والعنف والإرهاب كذلك فقد قال الله تعالى: ﴿ .. وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[البقرة].. إن الإسلام يُعلن .. اعترافه بالتعددية الحضارية .. لأن ذلك مُهم لتقدم البشرية ويدعو إلى الاستفادة من الإنجازات الحضارية فى أى مكان وبأى أيد صنعت (فالحكمة ضالة المؤمن أنَّا وجدها فهو أحق الناس بها) .. لهذا فإن الحوار له أهمية عظمى فى ترسيخ القيم الأخلاقية وهذا بلا شك أفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجاً لنقل معلوماته إلى الغير..

ضرورة الحوار

إن العالم دخل فى مرحلة من المتغيرات الجذرية والتحولات الكبرى والسريعة والثورة الهائلة فى وسائل الاتصال والإعلام.. وكل ذلك يتم بإمكانيات غير مسبوقة وترتب على ذلك اختفاء الحواجز الثقافية حيث فرضت هذه المعطيات نفسها علينا..
وفى جو عالم الاتصال المفتوح وتدفق المعلومات لا يمكن لأى مجتمع عزل نفسه عنها أو الإحجام عن التعامل معها .. وهذه النقلة الحضارية حدثت فى أعقاب مرحلة شهدت أكثر الصراعات دموية لم يشهد التاريخ لها مثيل.. ومع النقلة الحضارية لاتزال هناك بعض المجتمعات تريد أن تعود بالعالم إلى عصر الصدام لأنه أمر حتمى (كما يزعمون) .. ونحن نرى أن ميزان القوى فى العصر الحالى قد مال لصالح الغرب الذى يستخدم معطيات العصر إلى نشر ثقافته على العالم بإدعاء أنه السبيل الوحيد لتحقيق حياة أفضل للبشرية.. وقد ظهر دعاة لذلك ودعوتهم شاملة للتمسك

بنمط الحضارة الغربية واستخدام كافة الوسائل التى تؤكد على ذلك.. وهؤلاء وأولئك يتناسون الحضارات السابقة وما أعطته للبشرية من تقدم ونجاح ورقى وفلاح.. لهذا نرى أن الفرق كبير بين دعاة الغرب ودعاة الإسلام.. فالإسلام كما قلنا يؤمن بالتعددية الحضارية ويعتمد فى ذلك على التواصل الإنسانى.. ويحافظ على ثقافة أى أُمّة ولا يعمل على محوها.. ويعمل على إشاعة القيم.. لأن تنوع مصدر الحضارة مصدر قوة للإنسانية.. ويُلزم الإسلام أتباعه ابتكار الأساليب التى تحترم الخصوصية الحضارية لكل من الشعوب والأمم فى إطار (لكم دينكم ولى دين) وهنا يبرز أهمية الحوار لأنه يُعالج بعض الآثار التى خلّفتها الصراعات التى نشأت عن الجهل بالمفاهيم.. ولقد كان من نتيجة الحوار بين المسلمين وغيرهم أن الكثير عرف عن مُعطيات علماء الإسلام الخير لصالح البشر.. لأن المسلمين كانوا دائماً مع الاختلاف فى الخصائص الحضارية يضعون الخطط للنهوض بالمشاريع.. ومع ذلك فتعدد الطرق يُجسّد المعطيات الخاصة لهذا الدين الذى يبرز دوره الإنسانى للنهوض بمستقبل الإنسانية حتى تعيش فى جو من الأمن والسلام..

مواقف

ولعل أعظم موقف نبرزه ليكون دليلاً مُضيئاً بين أيدينا هو ما حدث تطبيقه بتوجيهات رسول الله ﷺ عندما عاهد اليهود وكتب معهم معاهدة شهد العالم أجمع بأنها أعظم وثيقة تاريخية وقد كان لها الأثر الأكبر للحد من الصراع الذى كان اليهود يريدون أن يشعلوه فى الجزيرة العربية.. ولقد التزم المسلمون بالعمل من جانبهم على فض الصراع وسار الخلفاء الراشدون وفق هذا النموذج.. واستمرت هذه الممارسة الرشيدة فى مختلف العصور ومثال ذلك عندما تقدم أهل (سمرقند) بشكوى إلى الحاكم العام للمسلمين (عمر بن عبدالعزيز) ضد (قتيبة بن مسلم الباهلى) فقد احتل أرضهم ودخل بلادهم دون إنذار مُسبق.. فحكم القاضى (سليمان بن أبى السرى) بخروج العرب من أرض (سمرقند) ومن ثم يتباحثون فى أمر الصلح ودفع الجزية أو قبول تعاليم الإسلام أو الحرب[1].

---

(١) يراجع فى ذلك : فتوح البلدان للبلاذرى - والكامل لابن الأثير.

إن الإسلام وضع قواعد لتنظيم علاقات المسلمين بغيرهم سواء كانوا داخل البلاد الإسلامية أو خارجها . .

ولأن الإسلام قادر على التعايش مع العقائد الأخرى فى مودة وتسامح واحترام متبادل . . فهو يُدرب أتباعه ويؤهلهم لأن يقدموا دائماً نماذج حضارية تسهم إسهاماً كبيراً فى العلاقات الاجتماعية . . والعلاقات الدولية وذلك من خلال تأكيده على المبادئ الأخلاقية والقيم النبيلة فى التعامل واعتماده معياراً واحداً فى إقامة العدل والتسامح الذى يجب أن يسود بين الجميع . . ولقد قام عدد من المفكرين منهم بعض المسلمين فى دراسة أزمة القيم الأخلاقية التى تتحكم فى النظام الدولى وبسبب هذا يكون الصراع الذى يكون من نتيجته (الكوارث) التى عمت شعوب العالم فى النصف الأول من القرن العشرين حيث اندلعت حربان عالميتان وكان القضاء المبرم على ما شيَّدته يد الإنسان من تقدم فى كل المجالات . . ثم شهد النصف الثانى من نفس القرن احتدام الحرب الباردة ثم تفجرت عشرات الحروب فى جهات مختلفة ثم ما كان من تدمير هنا وهناك عام ٢٠٠١ وأوائل القرن الواحد والعشرين . . واتجهت أنظار الباحثين إلى الإسلام وأرادوا أن يكيلوا له التُّهم واعتبروا أن الإسلام هو الداعى إلى العنف والإرهاب . . بل إن البعض قالوا . . الإرهاب الدينى . . العنف الدينى . . وكل هؤلاء ظلموا الإسلام ومبادئه لأن الإسلام أَمَرَ ونبَّه بأن حقوق الناس يجب أن تُصان . . وأن أفكار الآخرين يجب أن تحترم . . وأن الإنسان المسلم يُحبّ لكل إنسان ما يحبه لنفسه . . وما لا يرضاه لنفسه . . لا يرضاه للآخرين . . إن الفكر الإسلامى الذى ينهل من معين الوحى الإلهى . . ويتفاعل مع الواقع القائم ينبه إلى التعامل معه بإمعان النظر فيه وإعمال الفكر السليم ويتطلع دائماً إلى رؤية مستقبلية واضعاً نصب عينى المسلم أن السلام هو الأصل وأن الحرب العادلة هى عند الضرورة لرد الاعتداء ورفع الظلم ، وأن الإسلام بتعاليمه لا يقر التصفية الجسدية عند المخالفة فى الرأى . . وعند احتدام الصراع . . يحث على الحوار الهادف لتحقيق التعارف وصولاً إلى التعاون على البر والتقوى . .ذلك لأن الإسلام يُعلن دائماً أن الناس أخوة . . وصَحَّح هذا المفهوم الإسلامى الفكر فى الأخوّة البشرية وأن المفاهيم الخاطئة التى وقع فيها كبار المفكرين عليهم أن يعودوا إلى تعاليم الإسلام فيقرأوها

فالرسول ﷺ يؤكد على أصول الأخوّة البشرية بتدعيم أواصر المودّة بين بنى البشر جميعاً وقد عزّز على تنظيم تلك الأواصر فى الحديث القدسى الذى رواه الرسول ﷺ وأخبر به أصحابه حيث قال **« إن الله عزوجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى !! فيقول ابن آدم يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول الله . أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده أما إنك لو عدّته لوجدتنى عنده.. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى !! فيقول يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول الله. أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه .. أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى .. يا ابن آدم .. استسقيتك فلم تسقنى!! فيقول يا رب.. كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول الله. استسقاك عبدى فلان فلم تسقه!! أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى»** ولنا أن نتأمل فى هذا المعنى السامى الذى يرشد إليه الحديث إنه يؤكد على الأخوة الإنسانية على أسس نبيلة من البر بالمخلوق والتكافل الاجتماعى بلا حدود مع كافة البشر . . فالأخوة الإنسانية قائمة على هذا الأساس ما دام الحب والود والألفة قائمة بين الجميع يتعاملون بها بكل احترام فى كل مظاهر العلاقات الاجتماعية . . إنه فى ظل الإسلام تقوم علاقات المودة والتعاون وتطبيق حقوق الجوار لأن المسلم لا يهدأ ضميره ولا يستريح فكره إذا أكل وشرب وجاره إلى جواره جائع بل إن تعاليم الإسلام أكدت على أن المسلم مهما كان مركزه الاجتماعى عليه أن يطعم الخادم مما يأكل ويكسوه مما يلبس يوضح ذلك قول (المعرور بن سويد) (رأيت أبا ذر رضى الله عنه وعليه حُلّة وعلى خادمه مثلها فسألته عن ذلك. . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول **«هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»**. . ويؤكد الرسول ﷺ على حقوق الجيران ويقول : **«جار له حق.. وجار له حقان .. وجار له ثلاثة حقوق .. فالجار الذى له ثلاثة حقوق.. الجار المسلم ذو الرحم .. له حق الجوار .. وحق الإسلام .. وحق الرحم.. وأما الذى له حقان فالجار المسلم .. له حق الجوار .. وحق الإسلام.. وأما الجار الذى له حق واحد .. فالجار المشرك»**. . وأوضح الرسول ﷺ حقوق الجار وعمق أبعادها

الاجتماعى فيقول: **«مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .. فقالوا: وما حقوق الجار يا رسول الله؟ قال: إن استعان بك أعنته .. وإن استقرضك أقرضته .. وإن مات تبعت جنازته .. وإن غلى قدرك فاغرف لبنيه مما فيه»**. . ولعل هذه الأمور توضح كيف يدعم الإسلام الأخوة الإنسانية. . بل إنه من باب الترابط والمودة مع غير المسلمين قرر الإسلام معاملتهم بالحسنى وكف العدوان عنهم وأباح للمسلمين أن يأكلوا من طعامهم وأن يتزوجوا من نسائهم بلا حرج فيقول الحق سبحانه ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ .. (٥) ﴾[المائدة] . .

ولا يفوتنا ونحن نؤكد على توطيد العلاقات الدولية ونُنير الطرق أمام أهل البصائر أن نؤكد على أن الرسول ﷺ أرسل بخطابات شخصية إلى ملوك العالم ورؤساء الدول يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام فإن لم يقبلوا فليكن التعايش السلمى ومراعاة حق الجوار هما الأصل فى حُسْن التعامل وفى كل خطاب كان يذكر هذه الجملة بعد الديباجة ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾[آل عمران] . . لقد أرسل الرسول ﷺ بالسفراء إلى الدول واستقبل رسول الله ﷺ سفراء الدول والوفود وعاملهم بإحسان مما ينم عن أن الإسلام لا يعرف الكُرْه لأحد ولا الحقد وإنما يدعو إلى التعامل بالإحسان واللطف والذوق. . وكرم الأخلاق وحسن الاستقبال.

التبادل الثقافى

جاء الإسلام إلى العرب وهم مجتمع متفرق فألّف بين قلوبهم ووحّد صفّهم وآخا بينهم . . كانوا أميِّين . . والنبى العظيم محمد ﷺ كان كذلك والقرآن يؤكد على هذا المعنى فيقول : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ . .(٤٨) ﴾[العنكبوت] . . ومن عجب أن النبى أمّى وبُعث إلى قوم أميِّين . .

وينزل عليه القرآن ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ ويتلقاه هذا النبى الأمى لينذر به العالم أجمع.. لكن البداية أن ينذر به قومه وقد تلقى العرب القرآن ودرسوا ما فيه .. وبسبب هذه الدراسة المتأنّية .. يكون الأخذ بما فيه .. والسير على منهاجه.. وتطبيق أحكامه بدقة وأمانة كان ذلك سبب نقلتهم من .. البداوَة .. إلى .. الحضارة .. ومن قوم أميِّين إلى علماء حكماء برعوا فى كل فن ونهضوا بكل علم وبسبب ذلك تحوّلوا من رعاة غنم إلى قادة أمم.. ولقد حمل العرب الإسلام وانساحوا به فى الأرض .. وأصبحوا جسوراً جيدة مُوَصِّلة لتعاليم الإسلام إلى قارات العالم آنذاك.. واختلط العرب بغيرهم ولهم حضارة وثقافة وأفكار فتم تبادل المعلومات .. وأصبح التبادل الثقافى مظهراً حيوياً للإخاء الإنسانى.. والدولة الإسلامية الجديدة التى عملت على نشر الإسلام فى البلاد المختلفة عن طريق الحوار والإقناع ولا مجال أبداً للضغط النفسى أو الإرهاب الفكرى أو التلويح باستعمال العنف أو التصفية الجسدية.. وقد التقت بحضارات ثقافية فى كثير من الدول .. فأخذت وأعطت .. وأقبل المسلمون على حضارات الأمم يمتصون بسرعة فائقة ما فيها من حكَمْ وآداب وخبرات سياسية وأصول التجارة وفلسفة عقلية.. والمسلمون نهلوا من هذه العلوم لأنهم طُلَّاب حقيقة رائدهم البحث عنها .. ولقد كان المسلمون ينظرون فى كل شىء ويبحثون عن أى علم.. ويسيرون وراء كل حكمة .. ويأخذون العبرة من الماضى ويستفيدون من كل شىء فى العلم أو الطب أو الصيدلة.. والجغرافيا والفلك والهندسة والكيمياء وفى الزراعة والصناعة وفى تربية الحيوانات وفى البحار والأحجار والمعادن.. ولم يدخر المسلمون جهداً فى البحث فى تراث الأمم السابقة كاليونان.. وفارس .. والهند.. ولقد استوعبت العقلية الإسلامية الميراث العلمى فى العالم القديم واضطلع المسلمون بكل ذلك بل واستطاعوا أن يُحوِّلوا العلوم ويترجموها إلى لغة العرب فى نفس الوقت حوّلوا العلوم العربية إلى الفارسية والهندية واليونانية لأن علماء المسلمين وهم يستوعبون نتاج الحضارات القديمة كان لابد من صقلها لتتلاءم مع الحاضر وليسهموا فى تقدم الإنسانية ورقى البشرية لأنهم لم يُقدِموا على النقل والاقتباس للتجمّل والزينة وإنما تم

ذلك . . لبناء الشخصية والذات الإنسانية التى تعمل على استدراك ما فات ولتستكمل أسباب الحياة . . إن حضارة الإسلام بدأت تتفاعل وتمتزج بالحضارات السابقة وظهرت أعظم مظاهر هذا المزج فى النظم الاجتماعية والعلاقات الإنسانية وتأثرت المجتمعات بهذا الامتزاج فى كل مرافق حياتها وأصبحت العقلية الإسلامية تتوهج بنور العلم وسجلوا ذلك وأصبحت هناك خزانات للأدب والفكر والثقافة والعلم ولعل أكبر دليل يعطينا ذلك حضارة بلاد الأندلس فى ظل الحكم الإسلامى . . ومن هذا العلم نقل علماء أوروبا إلى بلادهم ما كانوا يتلقونه على أيدى العلماء المسلمين لأن مكتبة الأندلس كانت تضم أكثر من خمسمائة ألف كتاب فى جميع العلوم والفنون . . واستطاعت أوروبا أن تأخذ من الحضارة الإسلامية وتتفاعل معها لأن العرب وضعوا القواعد لعلوم المادة وظواهرها وخصائصها . . وعلوم عن طبقات الأرض وأنواعها والصناعات الثقيلة والخفيفة وقواعد النظافة العامة إلى غير ذلك من كل العلوم والفنون[1].

إن النمو الحضارى يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى . . وهذا ما فهمه المسلمون وأتاحوا فرص التفاعل والالتقاء بين الحضارات لتتسع الدائرة العلمية والثقافية . . إن المسلمين طوال حياتهم لم يتخلفوا عن ركب الحضارة ولا عيب أبداً أن نأخذ من حضارات الأمم الأخرى ما يفيدنا . . ولكن فى غيبة من الزمن حُوصر المجتمع الإسلامى وأصبح منغلقاً على نفسه . . والانغلاق شىء قاتل للنفس . . لذلك بَعُدت الأمة عن ماضى مجدها المشرق وحضارتها المتألّقة . . والعزلة الحضارية هى والجهل صنوان . . لأنه لا توجد حضارة قامت بذاتها واستغنت عن غيرها لأن الحضارة نتاج حضارات تتفاعل مع بعضها . . وفى أثناء العزلة والانغلاق استطاعت أوروبا أن تمتلك رصيد الحضارة الإسلامية وتأخذ عنها وتستفيد منها . . ولكى يكون

(١) يراجع فى ذلك الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية للدكتور توفيق الراعى . . والإسلام فى حضارته ونظمه لأنور الرفاعى.

هناك غطاء لهذا كانت الحروب الصليبية ثم الزّج بالمسلمين فى الحروب العالمية والتآمر على الدولة العثمانية للقضاء على الخلافة الإسلامية ثم وضع البلاد الإسلامية تحت الحماية وفصل كل دولة عن الأخرى ثم محاولة فرض ثقافة الغرب ولغتهم على البلاد الإسلامية المغلوبة على أمرها ثم السيطرة على كل مرافق الدول الحيوية . . التعليمية . . والإعلامية . . والاقتصادية ثم ربط الدول الإسلامية بالدول الغربية لقضاء كل مصالحها كل ذلك جدير بأن تُعاد دراسته حتى يظهر الفرق أمام العالم . . كيف تَعامَل المسلمون مع الدول التى فتحوها إما سلْماً وإما حرباً . . وكيف فعلوا مع ثقافة هذه الأمم وحضارتهم ولغتهم . . لقد أقر المَسلمون على كل شيء وأبقوا على كل شيء . . وحافظوا على كل شيء . . مع التهذيب . . وكانوا يُقيمون حواراً متسماً بالهدوء والتسامح مع أهل هذه البلاد . . ولم يجبروا أحد منهم على ترك لغتهم أو الطمس على هويتهم أو التخلى عن ثقافتهم أو طمس معالم حضارتهم . . وهذا الأمر شهد به أعداء الإسلام قبل معتنقيه . . ولهذا نقول بأن الحوار بين الثقافات هو أعظم ثروة لخدمة الإنسانية . . وإن المسلمين غير منغلقين على أنفسهم . . وهم يتسمون بالعدل والاعتدال والتسامح وإعطاء الآخرين والأخذ منهم لأنهم يؤمنون بأن العِلْم ميراث الإنسانية كلها . .

الحوار .. أم .. السيف

نؤكد على أن المعجزة الكبرى لسيدنا محمد ﷺ (القرآن الكريم) وهو الكتاب الذى لا ريب فيه . . فيه هدى للمتقين . . وتبيان كل شيء . . والقرآن كتاب علم . . وتشريع . . ومنهاج حياة لأى إنسان . . وهو ميراث الإنسانية كلها تجد نفسها فيه ولهذا يقول (برنارد شو) لو كان محمد بن عبدالله حياً وبيده كتابه لحلّ مشاكل المجتمع وقاد سفينته إلى شاطيء الأمان وبر النجاة . . والقرآن كتاب يخاطب العقل ويدعم قضية الحوار وقد رفع سيدنا محمد ﷺ شعاراً . . قوله ﷺ كما يحكى القرآن ﴿ . . وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ . . ﴿١٩﴾ ﴾[الأنعام] . فرسالة سيدنا محمد إلى البشرية هى بهذا القرآن وفى نفس الوقت يمد يده إليهم بالسلام وقد نبَّهَهُ القرآن الكريم إلى ذلك كما جاء فى قوله سبحانه ﴿ . . وَإِن جَنَحُوا

للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ... ﴾[الأنفال] . . كما أنه يُنادى على أتباع الأنبياء ﴿ ... تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ... ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران] . . لهذا فرحت الإنسانية بدعوة سيدنا محمد ﷺ لأنه لم يُكره أحداً على الدخول فيها . . كما أنه لم يُكره أحداً على ترك دينه أو التخلى عن جنسيته وإنما كان يعرض دعوته على المجتمع بالحوار الهادف. . وشرح الأسس التى جاء بها . . وبيان مهمته وأنه مُكلّف بذلك من (الله) الذى كلّف الأنبياء قبله وبعثهم إلى أممهم . . والرسل جاءوا فى فترات متعاقبة . . وبُعثوا إلى أقوامهم. . أمّا أنا فبُعثتُ إلى الناس عامة لأن اللَّه الذى بعثنى وبَعثَ الأنبياء من قبلى هو الذى يوضح ذلك لكل نبى. . وقد نَزَلَ علىّ من (اللَّه) هذا التوجيه فى قوله سبحانه ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[الفرقان] . . وقد جئت برسالة عالمية تجد فيها الإنسانية فى أى موقع من قارات الأرض ما يلائم تطورها وينهض بها من كبوتها ويأخذ بيدها برفق ويحثُّها على العلم والعمل حتى تعتمد على نفسها ولا تمد يدها إلى غيرها إلاّ لتتعاون مع الغير على البر والتقوى لأن الناس سواسية . . الأب آدم والأم حواء . . ومعجزتى فى ذلك (القرآن الكريم) وهو كتاب تجد الإنسانية كلها فيه ما يوصلها إلى بر السلامة. . كما تجد حَلَّ الصراعات بالرفق وإدارة الأزمات بكياسة ولباقة وفطانة. . كل ذلك يستلهمه القارئ له من قصصه عن الأنبياء السابقين كيف واجهوا أقوامهم. . وهذا القرآن مَنْ قرأ فيه كأنما يقرأ فى طوية نفسه. . ومَنْ استمع إليه كأنه يستمع إلى همس خاطره . . والقرآن جمع بين دفّتيه ما تفرّق فى كتب الأنبياء السابقين حيث اعترف بالكتب التى نزلت قبله ولهذا يقول الحق سبحانه فيه ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ .. ﴿٤﴾ ﴾[آل عمران] . . وقد ختم الله كتب السماء بالقرآن لأن العقل البشرى اكتمل رشده وبلغ نُضجه وأصبح مُهيّناً للرسالة الخاتمة التى تصون حقوق الناس وتُهيِّئهم لأن

يتلاقوا على مبدأ التآلف والتراحم. . وأنا خاتم الأنبياء لأن الله أخبر الأنبياء قبلى (بى) وبيَّن صفتى فى كتبهم وحدّد ملامح رسالتى لهم وقال لى أن أقول للناس جميعاً «ما كُنتُ بدعاً من الرسل» ولما انتابنى التخوف حيث كذبنى الناس وتجهموا فى وجهى وشكُّوا فى أمرى قال لى الحق سبحانه أنت على الحق وإليه تدعو. . والناس دائماً أعداء الحق ومع ذلك ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[يونس]، ودعوتى للإنسانية كلها تحت راية السلام. . فالسلام شعارى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة]. . والتحية التى نتبادلها مع بعضنا السلام (السـلام عليكم ورحمة الله) ودعوتى تقـوم على الرفق والحـكمة بلا تعنيف ولا إرهـاب لأن اللَّـه علّمنى ﴿ .. وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴿٨٣﴾ ﴾[البقرة]. .وإن حدث خلاف فى الرأى. . فنتحاور . . ولا نتشاجر ولا يسب بعضنا الآخر لأن الله تعالى علّمنا هذا الأسلوب فى قوله تعالى: ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ.. ﴿١٠٨﴾ ﴾[الأنعام]. ونحن دائماً نتكلم بالكلام الجميل. . لا نجرح شعور أحد. . ولا نُهدر كرامته . . ولا ندفع السيئـة بالسيئة وإنمـا شعارنـا ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴿٣٤﴾ ﴾[فصلت]. . ويفرض علينا الحق سبحانه أن نحمى مجتمعنا من الذين لا يدينون بديننا ولا يعترفون بالرسالة التى أدعو الناس إليها. . فإن عاشوا بيننا فلهم الأمن والحماية ما داموا لنا مسالمين. . ولا يخططون ضد النظام الاجتماعى للكيان الاتحادى فى الجماعة التى تؤمن بالرسالة وتحافظ على مبادئها وفى ذلك يقول الحق سبحانه ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ... ﴿٦﴾ ﴾[التوبة]. . ويقول سبحانه: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا .. ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة] . . والحق وجَّهنا إلى أن . . نَصِلَ مَنْ قطعنا ونعفو عمن ظلمنا . . ونعطى مَنْ حرمنا. . ونُحسنُ إلى من يُسىء إلينا. . وإن حدث خلاف ما فالهجر الجميل مع التحلى

بالصبر وعدم الانفعال. . وعدم الهياج والصياح وتوجيه الله لنا فى ذلـك ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾[المزمل] . . هذه هى لغة الإسلام التى بيَّنها لنا سيدنا محمدﷺ. . أم ما يردِّده أعداء الإسلام عن أن لغة السيف فى الإسلام هى التى تتكلم فهذا افتراء ليس عليه دليل. . لأن لغة السيف فى الإسلام ليس لها وجود إلاّ عند الضرورة القصوى فالمبدأ الأصيل فى الإسلام لغة الحوار وشعارنا «تعالوا إلى كلمة سواء» . . لكن السيف يرفعه الإسلام عندما يعتدى أصحاب الذمم الخربة على ديار الإسلام. . وعندما يُجاهر أصحاب الضمائر الميِّتة بالإفساد فى الأرض والاعتداء على أصحاب المبادئ هنا لا يفل الحديد إلاّ الحديد ولهذا يقول الحق لأتباعه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا .. ﴿٣٩﴾ ﴾[الحج] .

والإسلام عندما نبَّه أتباعه إلى أن يقاتلوا المعتدين وضع قاعدة أساسية للمسلمين عليهم أن يلتزموا بها هى عدم الإعتداء إلاّ لرد العدوان وأن يكون بالمثل . . فيقول الحق سبحانه ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[البقرة] . . إن الحرب فى الإسلام وسيلة. . وليست بغاية ولك أن تتأمل فى كتب التاريخ وتستنطق الأرقام حيث تبين الإحصاءات أن الذين استشهدوا من المسلمين فى كل الغزوات (المواقع الحربية) التى قادها الرسولﷺ لم تزد عن ألف وخمسمائة شخص تقريباً بينما فى الحروب العالمية كان الذين قتلوا فى الحربية أكثر من ستة ملايين شخص وأربعمائه ألف . . جاء ذلك فى دائرة المعارف البريطانية جـ١٩ ص ٩٦٦ والفرق كبير جداً بين غزوات الرسولﷺ وبين الحربين العالميتين. . فالغزوات كانت لصالح الإنسانية كلها لأن الغرض منها تقليم أظافر الشر ومحاصرة الباغين وصد المعتدين لأن المشركين هم الذين يعتدون ويحزِّبون الأحزاب ويجمِّعون الجموع وغرضهم من ذلك القضاء على الإسلام واستئصال شأفة المسلمين ومنع الإسلام من أن ينتشر بين الناس بالحسنى علماً بأن الرسول ﷺ فى دعوته لم يكره أحد على اعتناق الإسلام وإنما كان يترك الخيار للناس بعد أن يسمعوا كلام الله ﴿ .. فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف] . كما أنه ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة] . . فالحرية مكفولة واحترام إنسانية الإنسان أمر يدعو إليه

الإنسان . . لذلك نحن نعجب عندما يقول البعض بأن الإسلام انتشر بالسيف نقول لهم ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[البقرة] إنكم سوف تجدون أن السيف فى يد الإنسان المسلم للدفاع فقط عن الحق إذا لزم الأمر . . ولعل أكبر شاهد على أن الإسلام يُحب السلام ويدعو إليه . . ما حدث فى فتح مكة . . ومع أهلها . . وهم الذين اعتدوا على سيدنا محمد ﷺ وأصحابه وعذبوهم وتفننوا فى أساليب التعذيب وابتكروا وسائل غير معروفة فى أنواع التعذيب ثم فرضوا على سيدنا محمد حصار المقاطعة ومنعوا كل شىء عن سيدنا محمد ﷺ وأصحابه فلزم الصبر وتمسك بالحلم ولما أفلس المشركون فى كل وسائل التعذيب والحرب النفسية والاقتصادية وحرب التجويع بدأوا يتآمرون على قتل سيدنا محمد ﷺ ومن معه . . وهذا سلاح العاجز . . بعد كل هذا عاد سيدنا محمد ﷺ مع أصحابه إلى مكة نهاراً وهم الذين خرجوا منها مُتسللين بالليل . . ورءوسهم مرفوعة لأنهم لم يحنوا جباههم إلاّ للّه . . ويوم فتح مكة قال أحد المسلمين . . اليوم يوم الملحمة . . فنادى النبى ﷺ فى الناس بقوله: لا . . اليوم يوم المرحمة ثم أدار النبى ﷺ حواراً مع أهل مكة وفى ذهنه كما فى ذهن المشركين ما فعلوه بالمؤمنين . . وشريط الذكريات يمر أمام العيون . . لكن النبى ﷺ يُدير الحوار ويقول لأهل مكة . . ما تظنون أنى فاعل بكم؟ . . قالوا خيراً!! أخ كريم وابن أخ كريم . . قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء . . أليس المشركون ينطبق عليهم . . أنهم . . مجرموا حرب . . فهل يُلام سيدنا محمد ﷺ إذا قتلهم اعتقد أن الأعراف الاجتماعية والقوانين الدولية والدساتير تُبيح له أن يقتلهم . . لكنه استعمل قانون (العفو) وهذا خلقه وربّى أتباعه عليه . . أفبعد هذا يأتى إنسان غير منصف ويقول بأن الإسلام انتشر بالسيف . . وإذا كان كما نقول . . فأين الأرقام؟!! وبِمَ حكمت أنتَ يا من تقول هذا . . فالمفروض أن تقرأ التاريخ . . وأن تُحلِّل الأحداث وتتعايش بصدق فى الواقع الاجتماعى . . ثم عليك أن تُقيم حواراً مع نفسك وتسأل . . إذا كان الإسلام قد انتشر بالسيف . . فكم عدد القتلى؟ إرجع الى الموسوعة العلمية البريطانية . . بل وارجع إلى كل الموسوعات العلمية الدولية لأن الإنصاف العلمى يتطلب ذلك . . ثم أقم الدليل على ما تقول . .

وإذا كُنتَ تقول هذا على الإسلام. . وكل العقلاء والمنصفين يعرفون تمام المعرفة. . أن النبى محمداً ﷺ كان أُمِّيًا . . ومعجزته القرآن الذى أُمِرَ أن ينذر به الناس وأن هذا النبى ليس بملك مُتجبِّر وإنما هو رحمة ورحمته شاملة لكل شىء فى الوجود حتى لقد أمر أصحابه أن يُريحوا الذبيحة عند ذبحها وأن يخفوا السكين عن أعينها . . ويقول لأصحابه «**إذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة**» . . ومن المؤكد أن كل إنسان له كرامة لا يجوز أبداً أن تُسلب كرامته . . وله حُرِّية لا يجوز أبداً أن يُستعبد. . فإذا جاءت قوة باطشة ظالمة باغية تُريد أن تستذل الإنسان وأن تسلبه كرامته فقام يُدافع عن نفسه ويحمل السلاح وهو مُكْره لصد العدوان الغاشم أَفَيَتَّهم هذا بأنه (سفّاح) إننا بدل أن نتَّهمه علينا أن نقول للمعتدى. . قف مكانك . . وارفع سيفك عن غيرك. . وأعلم بأن الإنسان ولد حُراً فلا تستعبده. . ولابد للمنصفين أن يفرقوا بين (المقاومة الشعبية) وبين (الاعتداء على حق الآخرين . . فى أنفسهم وممتلكاتهم وأوطانهم وأعراضهم) لابد لنا أن نعرف الفرق بين هذا وذاك وأن نقر بالحق المشروع وأنّ العقلاء عليهم أن يدعوا الطرفين على الجلوس مع بعضهم وإقامة حوار بين الطرفين . . لكننا لا نظلم من يُدافع عن حقه ونخلط الحابل بالنابل.

إن الذين يقولون أن الإسلام انتشر بالسيف نقول لهم . . هل قرأتم أحداث محاكم التفتيش والتى وقعت فى أوربا وهل عرفتم أرقام الضحايا التى تمت وأُعدمت؟ إنها بلغت أكثر من (١١ مليونا) أحد عشر مليوناً من البشر وما سمعنا أصواتاً لمنكرين.

ثم أحداث الخليج وما استتبعها من حصار العراق. . ثم أحداث سبتمبر فى الولايات المتحدة عام ٢٠٠١ . . وما جرى بعد ذلك على أرض أفغانستان . . وما زالت النيَّة مبيتة لغير ذلك . . ثم الحشود بين الهند وباكستان . . ثم ما حدث أخيراً من اجتياح أمريكا وبريطانيا وحلفائهما للعراق وطمس هوية الشعب العراقى وسرقة متاحفه وخزائن بنوكه. ثم تجويع الشعب واستعمال سلاح التخويف وهدم البنية الأساسية. . وتم كل ذلك تحت شعار البحث عن أسلحة الدمار وأسلحة الجرائيم الفتاكة . . وللأسف لم يعثروا على شىء مما زعموا . . وظهرت النية المبيتة لسرقة

مقدرات الشعب ونهب بتروله تحت أعلام الدول التى تتغنى بالحرية . . وغاب الضمير العالمى وماتت العواطف الإنسانية . . وغُيبت الأمم المتحدة وكل أجهزتها . . وللأسف يدعون أن المناضلين لتحرير شعوبهم هم (إرهابيون) . . ولقد أصبحت هذه الكلمة مطاطة ومنبوجة . . ومع كل ذلك نحن لا نفقد الأمل فى أنه سيأتى اليوم الذى تقف فيه الشعوب الإسلامية وتسترد حقها وليست هذه الأحداث بأبشع ما حدث من المغول أو من الصليبيين ومع ذلك فإن المسلمين لم يركعوا ولم يستكينوا وظل علم الإسلام مرفوعاً خفاقاً وصدق الله العظيم القائل ﴿ . . وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج] . . ألم يسترع ذلك أنظار الذين يتشدَّقون بالحرية . . وتعالوا بنا نقف مع بعضنا فى مصارحة تامة ونكشف وجه الحقيقة . . ألم يسمع العالم بما يجرى على أرض فلسطين من مجازر وحشية يرتكبها اليهود من أعمال ينادى لها جبين الإنسان . . لأن اليهود مُصرُّون على إبادة شعب يدافع عن نفسه وحقه فى الوجود وهيئة الأمم المتحدة بكل أروقتها ومؤسَّساتها غائبة عن الوجود وكأن آذانها لم تسمع إنين الضحايا من أبناء فلسطين الذين نزل بهم من الهم والغم والكرب العظيم ما لم يحدث فى يوم من الأيام لأى مجتمع . . وإذا كان ما يحدث اليوم والإنسانية جميعاً تسمع به فهل يقول المنصفون كلمتهم . . كيف تعايش اليهود والمسيحيون فى ظلال الحكم الإسلامى؟ لقد تعايشوا تحت ظل الحكم الإسلامى بكل كرامة لم يُهدم لهم معبد ولم يُمنعوا عن تأدية شعائر دينهم . . بل أجاز الرسولﷺ ولمن زاره منهم أن يدخلوا . . إلى المسجد . . وأن يُمارسوا شعائر دينهم . . فيا مَنْ ترفعون شعار الحرية ويتنادون بها . . كيف تقبلون الحكم بالعبودية على الآمنين فى أوطانهم المجردين من سلاحهم . . ويا مَنْ ترفعون شعار الديمقراطية فى بلادكم كيف تقبضون بيد من حديد على الشعوب المغلوبة على أمرها المحاصرة بالقوات البرية والبحرية والجوية . . لقد أصبحت هذه الشعوب المغلوبة على أمرها فى ظل الحضارة الجوفاء التى خلت من شعار الدين وقيمه أشبه بالغابة . . كيف تقبلون أن تُستغل شعوب العالم الثالث لتكون حقل تجارب لمنتجاتكم الحربية ثم تنهبون خيرات هذه الشعوب وثرواتها ثم تتغنَّوْن بالحضارة وتبكون على ضياع القيم . . لو كانت

حضارة فعلاً كما تقولون لأذعنتم لمفاهيم الحوار لأنه هو الأسلوب الأمثل لتحرير العباد من الذل والقتل والتدمير والخراب . . ولكم أن تقرأوا كلمة عمر بن الخطاب وتُحلِّلوا أسبابها وأهدافها (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أُمهاتهم أحراراً) إن المفروض فيكم يا أهل الحضارة (أن توظفوا لغة الحوار حُسْن توظيف وأن تستفيدوا من نتائجه ومُعطياته ثم تُسخروا ذلك لخدمة الإنسان وتأمين المجتمعات).

إن بؤرة الصراعات بين الحضارات فجوتها واسعة وتقذف بالحمم لأن صناع الحضارة لم يحسنوا الاستفادة من العلْم ولم يُحسنُوا توظيفه . . وصناع حضارة أخرى توظف العلم وتُفلسفه لإشباع رغَباتها وتحقيق ذاتها والسيطرة على الآخرين. . والدليل أمام أعيننا ما تقوم به أمريكا ودول الغرب بما قدمناه وما يقوم به الروس فى البوسنة والهرسك والشيشان . . وهؤلاء وأولئك إذا كانوا قد حرّروا الفلاحين والعمال فى بلادهم . . كما يزعمون . . فتلك شعارات لتمكنهم من استعباد آخرين. . لذلك فقد استعبدوا عشرات عشرات الملايين من قارات العالم. . وهذا الأسلوب الذى جنت به هذه الدول الغالبة ثمار عملها ثم تستعمل حق الفيتو فى هيئة الأمم المتحدة وأروقتها وأجهزتها إذا وجدت أن قراراً يقف فى سبيل مصالحها. . فقد اتخذت لها كذلك عناصر بشرية فى هذه البلاد وزينّوا لهم هجر صلتهم المقدسة بأوطانهم وأبناء جلدتهم ليزيدوا فى تمزيق الشعوب المغلوبة عن طريق الخيانة الداخلية كذلك. . ولِمَ هذا الصراع؟ إنه من حقنا نحن البشر أن نتفاهم . . واللَّه قد علّمنا البيان والحوار دائماً هو لغة العقلاء والدين الذى بعث الله به الأنبياء يحث الناس على طلب العلم ليكون وسيلة لنشر السلام وتأمين البشر من أسلحة الدمار وصنع القنابل الذرية الخطيرة التى تضر بحياة البشرية والحيوانات بل إن الذين صنعوها لم يَسْلَموا من شرِّها . . وتعالوا بنا نقرأ ما قاله القرآن الكريم فهو يقول : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴿٥٨﴾ ﴾[**الأحزاب**] ونسمع من فم النبى الطاهر «**المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**» . . ويقول أيضاً «**لا ضرر ولا ضرار**» . . والحق سبحانه وتعالى﴿ . . **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** . . ﴿٣٢﴾ ﴾[**المائدة**] ،

ويقول الحق سبحانه ﴿ ..ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بعْد إِصْلاحِهَا... ﴿٨٥﴾ ﴾[الأعراف]
ويقول سبحانه : ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴿١٨٣﴾ ﴾[الشعراء].. إن على عقلاء الإنسانية أن يتداركوا الأمر وأن يعملوا على إنقاذ العالم قبل أن تَحلّ به كارثة ويومها لا ينفع الدم..

إن الحوار هو أحسن الأساليب الحضارية للتعرف على المشاكل العامة والآراء المتباينة.. وعلى العقلاء أن يبحثوا عن أرضية مشتركة.. ليقفوا عليها ويديروا حوارا لأنه فى عالم اليوم لغة ضرورية لدوام التعايش السلبى بين الشعوب جميعاً على اختلاف وضعها الاجتماعى والجنسى .. وتحقيق المصالح بين الشعوب وفض المنازعات بين الأمم .. إن الحوار هو أعظم سلاح للقضاء على الصراع والخصومة والعداء والتجريح وتبادل الاتهامات .. والمسارعة إلى إتهام البعض بسوء الظن.. إن الحوار والمناقشة والمناظرة يقضى على كل ذلك ويجفف منابع التعصب التى تفرز لنا الإرهاب والمتطرفين..

إن علينا أن نعمل بأخذ مبدأ الحوار وأن نجعله مبدأ المبادئ ونؤكد على تأكيده وإشاعته .. ونضع له أكثر الصياغات سعة ومرونة ونؤسس له من الأسس والضوابط ما نضمن به تحوّله من ممارسة عشوائية إلى ممارسة منظمة .. لأنه بالحوار نفتح الطريق رحباً فسيحاً لبناء علاقات صحيَّة .. قوامها .. التآلف والتفاهم فى المفاهيم والتصوّرات لكى يُساعدنا ذلك على حل الكثير من المشاكل .. ومواجهة الكم المتراكم فى القضايا.. ولهذا فإن الواجب يُحتم على عقلاء المجتمع الدولى.. أن يمتلكوا الجرأة والإقدام والإصرار على تفعيل الحوار ورفع شعاره وجعلُه هو السلاح الأقوى لحل المشاكل سِلْماً .. بل علينا أن ندعوا إلى تدريس مبادئ الحوار وأهدافه ونظمه وكيف يكون حتى نصل إلى أرضية مشتركة لإزالة العقبات وتجاوز أزمة الثقة وسوء الفهم المتبادل بين الأفراد والأمم.

إن الإنسانية تبحث عن الحق .. فإذا ما عرفته عرفت أهله .. لأنه لا يُعرف الحق بالرجال وإنما يعرف الحق ثم يُعرف أهله .. فإذا ما وصلنا إلى ذلك فإننا نؤمن

أن وظيفة الحوار لا تتوقف على هداية الطرف الآخر وقبوله للرأى الذى نراه وإنما نحن نثق أن الحوار سيقضى على المشاكل ويصل بالإنسان إلى الحق . . فليس القصد إذاً من الحوار إقناع الخصم أو التغلب عليه . . وإنما الحوار بالحكمة وألا نكره الإنسان على اعتقاد أمرٍ لا يقوم عنده دليل على صحته ولا برهان على صدقه . . ولكننا نكشف وجه الحق والحقيقة .

إن حوار الحضارات يجب أن يظهر فى هذه الآونة التى ظهر فيها بعض الكُتّاب الذين ينادون ويكتبون ويقولون . . بأن الصراع بين الثقافات والحضارات لا ينتهى إلاّ بغلبة ثقافة ومحو حضارة بعينها فثقافة الأمة الغالبة هى التى تحتل الساحة وحضارة الأمة المغلوبة يجب أن تزول من على خريطة العالم، وهذا أمر خطير فلابد للعقلاء إذاً أن يرتفع صوتهم ليعلنوا أن التعايش السلمى بين الحضارات أمر مهم للغاية . . وأن التعدد الحضارى شىء عظيم للغاية فيه خدمة للإنسانية وتواصل للأجيال ولنا أن نقرأ فى القرآن الكريم الكتاب السماوى العظيم وهو يحدثنا عن آثار السابقين . . كإرم ذات العماد . . والقصر المشيّد . . والبئر المعطلة . . والذين نحتوا الجبال بيوتاً واتخذوا المصانع القوية العظيمة . . وعرش بلقيس . . ومسكن أهل سبأ . . وأصحاب الأخدود إلى غير ذلك من الحضارات التى ورد ذكرها فى القرآن والمسلمون يقرأونها صباح مساء ليتعايش فى أذهانهم صور هذه الحضارات ويحاولون إما تقليدها أو يتخذون أسلوب الابتكار مع إيمانهم الراسخ بتواصل الأجيال . . وأن السابق ينتفع بما قدمه اللاحق عطاءً من الأجيال لبعضها . . ونستأنس هنا بقصة رجل هو (أبو الدرداء) من صحابة رسول الله ﷺ رآه بعض الناس وهو مُسِنّ فى الشوط الأخير من رحلة الحياة يغرس شجرة (الجوز) فقال له . . يا أبا الدرداء . . أنت فى خريف العمر . . وتغرس شجرة الجوز؟ وهى لا تُثمر إلا بعد كذا من السنين . . فيقول أبو الدرداء . . وماذا علىّ أن يكون لى ثوابها . . ولغيرى ثمرتها!! كما أن إنساناً آخر قام بغرس شجرة من الزيتون وهو فى خريف العمر ولما سُئل عن سبب زراعته لهذه الشجرة وهى لا تثمر إلاّ بعد سنوات طويلة . . قال . . غرس من قبلنا فأكلنا . . ونحن نغرس كل من يأتى من بعدنا . . هذا هو المفهوم الذى يجب أن

نعيش على ضوئه خاصة وأن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «**إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألاّ يقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[رواه البخارى] . . ولماذا يغرسها والساعة ستقوم؟ ولا أمل فى انتفاع أحد بها؟ هذا دليل على أن نحافظ على التراث الحيوى لتجميل الحياة . . فى نفس الوقت تكريم العمل لذاته.

إننا ونحن ننادى على القوم الظالمين الذين يعملون على إبادة الجنس البشرى. . وشعارهم. . نحن ومن بعدنا الطوفان. . نقول لهم هذا شعار فاسد. . فتعالوا بنا لنبحث عن الحق . . ونتعاون سوياً على أن نحافظ على تراث الإنسانية . . ونبنى مع بعضنا مظلة سلام تستظل بها الإنسانية التائهة المعذبة والتى تعانى من الشقاء والحرمان. . ثم نجتهد مع بعضنا لمحو كلمة (الصراع) . . وأن نعيش فى مجتمع إنسانى متحضر يسعى لخلق جو الحوار بين الحضارات والحفاظ على تراث الإنسانية. . ونشر الأمن والسلام لينعم الجميع. . وتظهر العقول الخلاقة والابتكارية فى دنيا الناس.

الخـــلاف

إننا وقد بسطنا أمر الحديث عن الحوار . . وبيّنا بالدليل العقلى والنقلى أن الحوار لغة المتحضرين . . وأسلوب ينتهجه البشر أصحاب العقول المتميزة بالفهم والمحصنة عن الهوى . . لكننا نحن بشر . . والخلاف فى الرأى أمر وارد . . لأن الاختلاف والمخالفة . . أمر ينهجه كل شخص ويتخذه طريقاً مغايراً للآخرين. . والقاعدة العلمية تقول (الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية) . . وقد عرّف بعض العلماء (علمُ الخلاف) بأنه عِلم يُمكِّنُ من حفظ الأشياء التى استنبطها إمـام من الأئمـة . . أو توصّل إليها مصلح اجتماعى . . أو وضع نظريتها عالم فى معمله . . وهدم ما خالف ذلك من نصوص أو قواعد أو نظريات . . دون استناد إلى دليل . . والخلاف دائماً يُوصِّل إلى الجدل . . والجدل . . علم يقوم على مقابلة الأدلة لإظهار الحق . . فإذا حدث الخلاف الذى يؤدى إلى الجدل فإن الخصومة تشتد بين المختلفين والمتجادلين. . وكل واحد يحرص على التمسك برأيه . . وأن الحق معه فيؤدى ذلك إلى (الشقاق)

وهو خلاف حاد يعقبه نزاع يجعل كل واحد من المتنازعين فى شق غير شق صاحبه وإلى هذا أشار الله سبحانه فى القرآن الكريم ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾[البقرة] . .

أنـواع الخلاف

يختلف الاختلاف من فرد إلى فرد لأنه وليد رغبات نفسية لتحقيق غرض ذاتى أو أمر شخصى . . كما أنه يقع بين الدول بسبب النزاع على الحدود . . أو يكون لمفهوم سياسى من حيث تدخل الدولة فى مصالح جارتها . . لهذا فإن الخلاف ينقسم إلى :

١ - خلاف أملاه الحق :

وهو يقع فى دائرة (لاضرر ولا ضرار) وكذلك (تحب للناس ما تحب لنفسك) وهذا خلاف محمود لأنه خلاف يقع تحت البحث الموصِّل للحقيقة والكاشف لنظرية الخير والعدل والإحسان.

٢ - خلاف أملاه الهـوى :

وهو خلاف مذموم لأنه مبنى على نظرية الأنانية وقول بعضهم أنا ومن بعدى الطوفان . . وهذا الخلاف هو الذى بسببه تقوم الحروب وتقع الفتن ويكون التدمير والخراب . . كما يقع الشقاق بين الأسر وتنهار العلاقات الاجتماعية ويدب النزاع والشقاق . . وهو الذى ندعو بإقامة الحوار بسببه لنحتكم إلى العقل ونتوصل إلى ما فيه صالح الإنسانية . .

ولقد قصَّ الله سبحانه وتعالى علينا تاريخ أهل الرسالات السابقة وكيف أنهم اختلفوا على بعض فى الأفكار والآراء . . رغم أن مصدر التشريع فى كل الرسالات واحد . . لكنهم اختلفوا للتفاخر . . والغلبة . . وحب الظهور والهوى . . ولذلك حدثنا ربنا جل جلاله عن هذا الاختلاف لنأخذ العبرة . . ونستفيد . . ونبتعد عن هذا التلاعب بالألفاظ . . ولذلك يقول الحق سبحانه ﴿ . . وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ .. ﴿١٩﴾ ﴾[آل عمران]. إن الله بيّن لنا أن علَلَ أهل الكتاب .. البغى وتفريق الدين .. وكان ذلك سبب هلاكهم .. ونسخ أديانهم وبقاء قصصهم وسائل إيضاح للدرس والعبرة لمن ورثوا الكتاب على ألسنة الأنبياء من بعدهم .. ولهذا يقول الله لحبيبه ومصطفاه.. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأنعام].

إن الاختلاف الأهوج الذى تُغلِّفه الأنانية يؤدى إلى تمزق الأمة وشلل حركة الإنتاج فى كل مناحى المجتمع لأن الإنسان عند الخلاف المؤسس على الأنانية والهوى يفقد صاحبه نور البصيرة .. وينسى أبجديات الأخلاق الإنسانية .. لذلك .. تضطرب موازين العدل فى نفسه .. وتختل رؤية الأشياء أمام بصره.. وتختلط الأوراق فى ذهنه .. وتختفى الأولويات من عقله .. ومَنْ كان كذلك يسقط فى هاوية التعصب وتُظْلمُ الدنيا من حوله فلا يرى إلاّ سواداً وظلمة .. وأشباحاً مرعبة يخاف منها .. وما ذلك إلا انعكاس لنفسيته المريضة بالأنانية وحب الذات.. والكبر والتعالى.. ومثل هذا الإنسان الذى يعيش مع غيره فى اختلاف دائم قد انطفأ نور العلم فى عقله لأنه عجز عن إقامة حوار مع غيره برؤية شاملة مُتّزنة. وأصبح ضيّق الأفق ينفخ فى الأشياء الصغيرة التافهة وتأخذ لباب فكره بحيث لا يرى إلاّ ما يعتمل فى ذهنه .. لذلك تجده يستنصر بأعداء دينه .. وأعداء وطنه .. وأعداء عشيرته لتدمير مصالح وطنه وإهدار قيم دينه ، وصدق الله العظيم : ﴿ .. وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[النور].

إن الذين لا يتقنون فن الحوار.. ويفتقدون آدابه وأخلاقيّاته هم أسرع الناس سقوطاً فى معترك الحياة.. لأنهم يقعون فريسة سهلة بسبب التنازع على الأشياء التافهة وهو من أسباب تأخر المجتمعات بسبب التناحر .. وحياة الفشل التى عاشوا فيها.. لأنهم بسبب الخلافات يعيش الواحد منهم مُمزق النفس .. ضحل الفكر قليل المعلومات .. لذلك تجد أن عيشته ضنكا .. وحياته تعسة وصدق الله العظيم: ﴿ .. وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال] .. ويقول الحق سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ

﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾[طه]. .

إن هذا الخلاف مبنى ومؤسس على التعصب الأعمى . . وعدم الاستجابة لنداء العقل . . وهذا التعصب رغم ما يسانده من قوانين وضعية . . أو تقاليد اجتماعية . . أو عُرف بيئى . . هو فى نظر الدين الحق حماقة وخطأ . . والاعتراف بهذا التعصب هو هدم للأركان الأولى من الرسالات التى بعث الله بها الأنبياء هداة للبشرية . . ولعلّ أعجب العجب أن الإنسانية تدرك أن الإسلام دين من عند الله وأنه لا يقر أبداً العصبية ويحاربها بشدة ولا يُقيم وزناً لاختلاف البَشْرة فى ألوانها بين الناس كما أنه يحارب عصبيات الأوطان . . ويحارب كذلك عصبيات الأُسر والدين الإسلامى يُعلن كما أعلنت الرسالات السابقة . . أن كل إنسان مسئول بنفسه عن نفسه . . يُقدمه عمله وما اكتسب من خير للمجتمع ويؤخره عمله وما اكتسب من شر فى حق الناس والمجتمع . . ولا حساب أبداً فى تقويم شخص ما باعتبار عائلته أو جنسه أو لونه . . وهذا المبدأ يتفق تماماً مع ما جاء فى كتب الأنبياء السابقين ولهذا يقول ربنا جل جلاله : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النجم] . . ويقول سبحانه وهو يُبيِّن لنا أن كل إنسان مسئول عن نفسه وعمله وأن الإنسان عليه أن يعيش فى الدنيا بخلق نبيل وأن يعمل على خدمة نفسه وخدمة مجتمعه ولا يميل إلى العنف أو يجعل الإرهاب سلاحه لأن هذا الأسلوب ليس من خصائص الإنسان لهذا يقول الحق سبحانه﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ .. ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء] . .

والمجتمع الإنسانى لم يخل من الأفَّاكين الكذبة الذين يتطالون على دين الله . . ويحاولون دائماً الإيقاع بين أتباع الرسالات ويشعلون نار العدواة بينهم ويأتون بالأدلة من الكتاب المقدس لكنهم يبترون الآيات عن بعضها ليحجبوا المعنى المراد من النص الواضح الدلالة ويؤسسوا على ذلك نظرتهم التشاؤمية ويخدموا هدفهم المؤسس على

التعصب الأعمى . . فلقد كتب بعض هؤلاء يقول بأن الإسلام يقوم على غرس الكراهية فى قلب معتنقيه لمن يخالفوهم فى الدين وأشار إلى أن القرآن الكريم يوصى بالتنكر لليهود والنصارى ومجافاتهم ويُعلِّم أتباعه عدم التعامل معهم أو استخدامهم فى أى عمق وساق جزءاً من الآية الكريمة ونَصُّها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة] . . هذا الكاتب بتر هذه الآية عما قبلها وعما بعدها لأن الكاتب يُعلِّق بقوله إن القرآن يقول ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ وبهذا المقطع من الآية يقول أن الإسلام ينهى أتباعه نهياً جازماً عن مصادقة اليهود والنصارى . . ويُوجب على المسلم قطع صلته بهم . . ويُهدِّده إن صادقهم فإنه يكون قد خرج من الإسلام والتحق باليهودية أو النصرانية . هذا كلامه . . ومثله كمثل من يقرأ آية من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ ... ﴿٤٣﴾﴾[النساء] وهذا جزء من آية . . فهل هذا كلام يُعقل ان الله سبحانه وتعالى ينهى المسلمين عن مصادقة أتباع الأديان السابقة . . إن الحق سبحانه أمر النبى أن ينادى على أهل الكتاب برفق وحنان ومودة بقوله سبحانه ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ .. ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران] فهل يُعقل بعد هذا التوجيه أن يقول الله للمسلمين ما ذكره هذا الكاتب واستدل بجزء من آية بترها عما قبلها وعمّا بعدها . . والحق أن الآيات عندما نقرأها بداية من الآية ٤١ من سورة المائدة إلى الآية ٥٣ نجد أن الآيات تتحدث عن تطهير المجتمع الإسلامى من ألاعيب المنافقين . . ومؤامرات المشركين. . ودسائس الموتورين وأساليب الحاقدين . . وفريق من الذين أعلنوا الإسلام ثم يرتدون عنه تلاعباً إضعافاً للروح عند المسلمين ونشر التخاذل بينهم وفيهم وفى أمثالهم نزل قول الله ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن

تَبِعَ دِينَكُمْ ... ﴿٧٣﴾ ﴾[آل عمران] .. هذا هو الأساس الذى بنى عليه الحق سبحانه وتعالى هذه القاعدة فالآيات مبنية على بعضها .. وإن كان المشركون يتعاون معهم فئة من اليهود وفئة من النصارى ويتآمرون فى الخفاء ويخططون لإثارة الفزع والرعب فى المجتمع الإسلامى فهذا الفريق لا يُصاحَب ولا تكون هناك علاقة صداقة لى مع عدو دينى ووطنى .. لأن بعض ضعاف النفوس من المسلمين كانوا يتحبَّبون إلى أعداء الدين ويتودّدون إليهم بنقل معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين ويردِّدن كذباً كلاماً لم يرد على لسان النبى الأمين .. وإذا نُهوا عن ذلك يقولون سمعاً وطاعة وفيهم نزل قــول اللـه تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾[النساء] .. ويؤكد الحق سبحانه هذا الأمر توضيحاً وبياناً حتى لا يلتبس الأمر على أصحاب العقول النظيفة والنفوس الطاهرة فيقول سبحانه ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[محمد] ولهذا كان النهى لأصحاب العقيدة الدينية ألاّ يجلسوا مع هؤلاء حتى لا يصيبهم الوهن .. ولقد كشف الحق سبحانه وتعالى عن فئة من أصحاب المنافع الذين يجرون وراء مصالحهم الشخصية بغض النظر عن الوسائل إن كانت نظيفة أو غير نظيفة فيقول الله عن هذه الفئة ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ.... ﴿٥٢﴾ ﴾[المائدة] .. فهؤلاء هم أصحاب المنافع الشخصية ﴿ .. فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[التوبة] .. وأمثال هؤلاء دائماً تجدهم يعتذرون لأنهم يشعرون بخطئهم وجُرم ما ارتكبوه وقد أنزل الله سبحانه فى أمثالهم﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ..﴿٩٤﴾ ﴾[التوبة] .. ولأنهم عاشوا على الكذب والإفك فهم يحلفون مع كل كلمة ويردِّدون القسَم مع كل لفظ لإيهام السامع بصدق قولهم وإليهم أشار الحق سبحانه ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[التوبة] .. ويُبيّن الحق سبحانه أن هؤلاء اتخذوا إيمانهم وقاية لهم وظنوا أن أحداً لن يكشف أمرهم ولن يفضح سترهم .. وغاب عنهم أن الله

مطلع عليهم لهذا فضح الله أمرهم وقال عنهم ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ... ﴿٢﴾ ﴾[المنافقون] . . والتحذير من الله سبحانه للمؤمنين ألا يجالسوا هؤلاء لأنهم يتخذون آيات الله هزواً ويسخرون من المؤمنين وإذا مرّ المؤمنون بهم يتغامزون لهذا قال الحـــق سبحانــه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا .. ﴿٥٧﴾ ﴾[المائدة] .

فهل بعد هذا التوضيح يكون هناك حرج على دين إذا منع أتباعه من مصادقة الذين يتهكمون بتعاليمه ويسخرون من شعائره . . وإلى هذا قال الحق سبحانه ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام] . . والحق سبحانه وتعالى عندما نهى المسلمين عن مصادقة المتلاعبين بقيم الدين والمستهزئين بأتباعه بيّن لنا أن هؤلاء تركوا تعاليم أنبيائهم . . ولم يلتزموا بهدى شريعتهم ولم يتعظوا بما فى كتبهم المقدسة . . فهم ليس فى قلوبهم دين . . وليس عندهم أدب ولا احترام لشـــرع الله وهؤلاء لا يؤتمنـــون على الدين وعـــدم مُجالستهم أفضـــل فقـــال سبحانـــه مُنبِّهاً المؤمنين ﴿ ... وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا .. ﴿٧٠﴾ ﴾[الأنعام] .

إن المسلمين أصحاب دين يأمرهم أن يتعاونوا بالحب والتسامح والتعاون مع أتباع أى دين ومع الذين لا دين لهم . . على أن يكون هذا الاحترام متبادلاً وإلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ... ﴿٦﴾ ﴾[التوبة] .

إن علينا ألاّ نستمع لتفاهات التافهين ولا نأبه بالذين يُشككون فى أى دين ويحاولون الوقيعة بين أتباع الرسالات ليشعلوا نار الحرب الباردة والملتهبة وتعالوا بنا نستقرأ التاريخ فنرى أن النبى ﷺ استخدم فى هجرته قائداً مشركاً . . وأن فطاحل المسلمين مثل (كعب بن عجرة) اشتغل عند يهودى وكان يسقى له إبلَهُ بماء يُخرجه من البئر كل دلو بتمرة . . ولم يُحرِّم القرآن استخدام أهل الكتاب فى الأعمال التى يصلحون لها وأكبر دليل أن المسلمين الأوائل عندما فتحوا أقطار الدنيا المعروفة يومئذ أبقوا على الموظفين فى أعمالهم ولم يُكرهوا أحد على ترك دينه والدخول فى

الإسلام . . وكان اليهود والنصارى فى الوظائف الكبيرة والصغيرة ما داموا منضبطين ويعملون لصالح الوطن . . وهذا ما يشهد به التاريخ ويتحقق ذلك من قول رسول الله ﷺ: **« لعلكم تقاتلون قوماً فتظهرون عليهم فيقونكم بأموالهم دون انفسهم وذراريهم فيصالحونكم على صلح فلا تصيبوا منهم فوق ذلك فإنه لا يصلح لكم» .**

[رواه أبو داود]

إن تعليمات الإسلام تطبق على مَنْ آمن به وعلى مَنْ لم يؤمن به . . لذلك استقرت الأقليات غير المسلمة وآمنت على نفسها بين المسلمين لأن القاعدة الأصيلة فى الإسلام . . العدل على الجميع والرحمة بالجميع فى نفس الوقت . . لا إكراه . . ولا محو لأى ثقافة . . ولا هدم لأى حضارة . . وإنما التعايش السلمى والانتفاع بكل شيء تحت شعار (لكم دينكم ولى دين) . . ونستأنس هنا بمسلك عمر ابن الخطاب . . الحاكم العام للدولة الإسلامية . . وأعرف الحكام بطبيعة الإسلام ونظمه وإرشاداته وتعليماته وأدراهم بما يُكنّه هذا الدين للبشرية كلها . . من عطف وود . . وعدل وإحسان . . وتعاون وتسامح . . والتاريخ يحفظ بين دفتيه مسلك عمر بن الخطاب نحو معاملة الجماهير فى البلاد المفتوحة وننقل هنا ما جاء فى كتاب (الخراج) لأبى يوسف . . يقول . . مرّ عمر بن الخطاب على قوم قد أُقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام . . فقال . . ما شأن هؤلاء؟ فقيل له . . إنهم أُقيموا فى الجزية!! فكَرِه ذلك وقال . . هم وما يعتذرون به . . قالوا . . يقولون لا نجد . . قال . . دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ثم أمر بهم فَخُلِّى سبيلهم!!! . . كذلك . . مرّ عمر بأرض الشام على أُناس من الأنباط وقد أقيموا فى الشمس وصُبَّ على رؤوسهم الزيت !! فقال : ما هذا؟ . . قيل : يُعذبون فى الخراج . . فقال هشام راوى القصة . . أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« إن الله يُعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا »**[روى ذلك مسلم فى صحيحه] . . إن العاطفة التى جاشت بالرحمة فى نفس عمر نبعت من قلب متحمس للإسلام متمسك بمبادئه . . وعمر كان شديداً فى دين الله . . لكن الشدة التى عرف بها لا تعنى التعصب الأعمى والضغينة القاسية على المخالفين للدين الإسلامى لذلك نرى أن عمر لما دنا أجله وهو على فراش الموت

أوصى الخليفة من بعده بقوله (أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً وأن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفهم فوق طاقتهم).

إن النظام الإسلامى بلغ من المرونة ان اعتبر أهل الذمة جزءاً من الرعية الإسلامية (مع احتفاظهم بعقيدتهم وشرائع دينهم) ومن ثم تم عقد المعاهدات الخارجية ممثلا فيها المسلمين والذميين كأمة متحدة واحدة.. وأن الذميين يتمتعون بحريتهم الدينية وأن مصالحهم مكفولة ولهم ما للمسلمين وغيرهم (والمتحف البريطانى ملىء بالكثير من المعاهدات) وعمر بن الخطاب مرّ على رجل يسأل الناس وكان شيخاً ضرير البصر فضرب عمر عضده وقال له: من أى أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودى.. فقال: ما ألجأك إلى ما أرى؟ فقال الرجل: أسأل الجزية والحاجة والسن.. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده!! ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وأمثاله.. فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.. إنما الصدقات للفقراء والمساكين.. والفقراء هم الفقراء المسلمون.. والمساكين غيرهم وهذا من المساكين من أهل الكتاب ثم وضع عنه الجزية!! ثم ردّد قول الرسول ﷺ **« ثلاث مَنْ كُنَّ فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله جنته .. رفق بالضعيف .. وشفقة على الوالدين .. وإحسان إلى المملوك»**[رواه الترمذى].. ونسوق هنا ما رواه العرباض بن سارية قال: (نزلنا مع رسول الله ﷺ قلعة خيبر ومعه مَنْ معه من المسلمين.. وكان صاحب خيبر رجلاً مارداً متكبراً.. فأقبل إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد.. لكم أن تذبحوا حُمرنا وتأكلوا تمرنا وتضربوا نساءنا!! فغضب رسول الله ﷺ لما حدث وقال: يا ابن عوف اركب فرسك ثم نادِ إن الجنة لا تحل إلاّ لمؤمن وإن اجتمعوا للصلاة فاجتمعوا ثم صلى بهم.. ثم قام فقال: **«أيحسب أحدكم مُتكئاً على أريكته قد يظن أن الله تعالى لم يحرّم شيئاً إلاّ ما فى القرآن الكريم .. ألا وإنى والله لقد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر وإن الله لم يحلَّ لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلاّ بإذن .. ولا ضرب نسائهم .. ولا أكل ثمارهم .. إذا أعطوا الذى عليهم»**[رواه أبو داود].. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ

بالْقسْط ولا يَجْرمَنَّكُمْ شنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدلُوا اعْدلُوا هُوَ أَقْرَبُ للتَّقْوَىٰ واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾[المائدة] . .

إننا نقول للمنصفين فى العالم إن الاختلاف فى العقائد والأفكار لا يفسد للود قضية . . ولقد رأينا أن الخلاف بسبب الهوى جَرَّ على الإنسانية الوبال والإنسانية اليوم تكتوى بنار الحرب وتتجرع مرارة الظلم وسيطر الخوف والفزع على البشرية بسبب عدم فهم الأمور وغياب الحوار عن الساحة والجشع الذى يسيطر على بعض النفوس . . إن الإحسان والتسامح الضائعان سدًّى فى دنيا الناس فيكون ذلك سبباً فى ضيق الصدر وتوتر الأعصاب ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ قوله : « **ثلاث من الفواقر - المصائب التى تقسم الظهر- إمام إن أحسنت إليه لم يشكر .. وإن أسأت إليه لم يغفر .. وجار سوء إن رأى خيراً دفنه .. وإن رأى شراً أذاعه .. وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك** »[رواه الطبرانى] . . إن الناقمين على الإسلام الذين فى نفوسهم عقد مستحكمة ضد الدين ولذلك يرغبون فى إزالته من الوجود مُولعون بطمس الحقائق التاريخية وعدم نشرها ثم يُهيؤ إليهم ويُخيَّل أن أحداً لن يقرأ هذه الوثائق ولن تصل إلى أيدى العقلاء وهؤلاء يُطلق عليهم الأفَّاكون وليس عندهم إنصاف للحقيقة لأن قلوبهم تنبض بالحقد الدفين على الإسلام الذى نعمت الإنسانية فى ظلاله وعاشت فى سعادة وأمن وأمان .



الفصل الرابع

الاختلاف المقبول

الفصل الرابع
الإختلاف المقبول

خلق الله الناس بحكمته وإرادته واقتضت مشيئة الله تعالى أن الناس تختلف ألوانهم وألسنتهم وتلك إرادة الله جل جلاله ولا مُعقِّب لحكمه وهذا دليل القدرة الإلهية وصدق اللَّه العظيم ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ... ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم] . . كما أنه من دلائل القدرة الإلهية أن الإنسان يُخْلَق على مراحل وأطوار ففى بطن أمه يتم تكوينه ويُخلق على مراحل وإلى هذا أشـار الحـق سبحانه ﴿ .. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ..﴿٦﴾ ﴾[الزمر] . . وكذلك قول الحق سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم] . . ولهذا نرى أن مشيئة الله اقتضت كذلك اختلاف تصورات الناس للأشياء من خلال أفكارهم لأن العقول متباينة . . ومن حكمة الله أنه جعل العقول مختلفة فى التفكير . . لتتكامل فى النهاية المنظومة الإنسانية . . لأن اختلاف الناس فى تفكيرهم رحمة. . فلو أن العقول اتفقت على تفكير واحد لتعطلت المصالح وتوقفت حركة النمو الاجتماعى وتجمد الإنتاج فى الابتكار لهذا كان من رحمة الله بالبشر أن يختلفوا فى تفكيرهم بعقولهم لتعدد الحلول عند أى قضية. . وكل واقعة يُدلى فيها مجموعة من الناس بأفكارهم وآرائهم حتى نصل إلى الحل الأمثل الذى يتناسب مع المناخ الاجتماعى والأعراف البيئية . . فالإختلاف فى الآراء . . مع عدم التنشج والتعصب. . رياضة للأذهان. . والتعرف على جميع الاحتمالات . . وتلاقح للآراء . . وفتح مجالات التفكير يؤدى إلى الوصول إلى أعظم النتائج وأيسر السبل. . ومن هذا الاختلاف لابد أن يكون الحوار البناء وفوائده تحقق الخير ما دام يسير فى إطار الحدود والآداب . . ومن هنا قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ

رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ... ﴿١١٩﴾ ﴾[هود] . . والمسلمون على اختلاف الزمن وقع الاختلاف فى صفوفهم ولا يزال ظاهرة اجتماعية . . لكن الاختلاف لم يتجاوز حدوده بل التزم بالآداب والقيم ولهذا كان ظاهرة إيجابية له كثير من الفوائد الإيجابية .

لقد وقع الاختلاف فى عصر رسول الله كما حدث فى عهد الصحابة وفى كل العصور الإسلامية ولكنهم مع اختلافهم كانوا لا يتطاولون على بعض كان شعارهم (نتفق فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه) وكان الاختلاف بينهم من الأمور المقبولة بحيث لا يخالف قاعدة شرعية ثبتت بنص من القرآن أو من كلام رسول اللهﷺ أو مجمع عليها بين الصحابة . . لأن الصحابة دائماً كانوا يستفتون النبىﷺ فى الوقائع والأحداث وعن أمور الدين والدنيا . . فيفتيهم . . وترفع إليه القضايا والخصومات فيقضى فيها . . ويرى الفعل الحسن فيستحسنه ويثنى على فاعله . . ويرى الفعل المغاير فينكره . . وكان الصحابة يتحاورون معه فى بعض الأمور التى يختلفون فيها بدافع الحرص على صلاح الدين والدنيا . . لكنهم لم يجاوزوا ذلك إلى التنازع والشقاق وتراشق الاتهامات وتبادل الطعون . . وكان رسول الله ﷺ يحسم أى خلاف دون أن تبقى له آية رواسب ولهذا كان دائماً يقول لهم **«لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»**[رواه البخارى] . . ويقول ﷺ **« إنما هلك مَنْ قبلكم باختلافهم فى الكتاب»**[ذكره ابن حزم فى كتاب الأحكام فى أصول الأحكام] . . لقد كان هناك أدب بين الصحابة والمسلمين فى الخلاف وكانوا يلتزمون حق الأخوة والبعد عن الإساءة إلى الغير . . وكان الواحد منهم يبذل جهده وما وسعه لتضييق هوة الخلاف . . ولا هدف لأحدهم إلاّ إظهار الحق وإرضاء الله ورسوله . . ولا ينقاد أحدهم لهوى النفس وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم إذا وجد أن أحاسيسه ومشاعره تميل إلى السيطرة والغلبة خاصة عندما يسمعون كلمات المــدح والثناء لأن كل ذلك يكون وليد التفاخر والتعالى . . ولهذا جاء النهى من الله سبحانــه وتعالــى عن السير فى هذا الطريق عندما قال لنا سبحانــه ﴿ ... **وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ**

الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص] . . ويقول سبحانــه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾[الأنعام] . . ويقول سبحانه : ﴿ ..... وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[الأنعام] . .

إن الخلاف فى الرأى إذا كان لحب الظهور والتعالى على الآخرين فإن ذلك أكبر مفسدة ويكون من وراء ذلك إخلال بالمصالح العامة ولهذا يقول عبدالله بن مسعود (الخلاف شر) . . ولقد كان سيدنا هارون من الحكمة التى يجب علينا أن نتعلمها . . فموسى عليه السلام عندما ذهب إلى مناجاة ربه قام (السامرى) بصنع عجل من الذهب وقال لبنى إسرائيل (هذا إلهكم فاعبدوه) . . وهارون بقى صامتاً . . فلما جاء موسى رأى القوم عاكفين على عبادة العجل فوجّه اللوم إلى أخيه هارون وجذبه من لحيته . . فقال هارون لموسى ﴿ ... يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾[طه] . . فجعل هارون عذره (خوف الفرقة والاختلاف) والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران] . .

إن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية إذا كان الهدف منه إظهار الحق وتجليته وللوصول إلى تحقيق أعلى معدلات الإنتاج فى الأداء وتنفيذ الخطة السليمة المدروسة القائمة على التخطيط المبنى على العلم ليكون من وراء ذلك إصلاح المجتمع والرقى به وخدمة الإنسانية . . لقد كان رسول الله ﷺ يجتث بذرة الخلاف قبل أن تتنامى وكان الرسول ﷺ دائماً يعمل على إصلاح النفوس وتهدئة الخواطر وينهاهم دائماً عن الاختلاف فى الرأى ويقول عليه الصلاة والسلام: **«لا تختلفوا فإن مَنْ قبلكم اختلفوا فهلكوا»**[رواه البخارى] . .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ فى اختلافهم يتحلّون بالآداب مثل :

١ – يعالجون أمر الاختلاف بالحكمة . . ولا يتيحون فرصة للجدل المفضى إلى التنازع والشقاق .

٢ – كانوا ينتقون أطايب الكلام ويتجنبون الألفاظ الجارحة .

٣ - كان كل واحد يُحسن الاستماع إلى أخيه ورأيه ويُحسن به الظن . .

٤ - الالتزام بطهارة القلب وعفة اللسان وتجنب الهوى .

٥ - كل واحد يشعر فى قرارة نفسه أن ما ذهب إليه أخوه من آراء يحتمل الصواب كالذى يراه لرأى نفسه(١) .

إن مشيئة الله اقتضت أنه خلق الناس بعقول متفاوتة ومدارج متباينة إلى اختلاف الألسنة والأفكار والتصوّرات والألوان . . ولعل السر فى ذلك . . ألا يقع الناس فى حرج لأن الاختلاف رياضة للأذهان . . وتلاقح للآراء والأفكار . . . وتعدد الحلول لكل واقعة . . وفتح مجالات التفكير للوصول إلى أنسب الافتراضات . . لأن ذلك يتيح التعرف على جميع الاحتمالات التى يمكن وقوعها . . وفى ذلك حكمة عظيمة تخفى على الكثير من الناس وصدق الله العظيم ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . ﴿١١٩﴾** ﴾[هود] ونتأمل فى حديث رسول الله ﷺ عندما جاء إليه الصحابة وذكروا له أن رجلاً أصابه حجر فى رأسه . . ثم احتلم . . فسأل أصحابه هل تجدون رخصة لى فى التيمم؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء . . فاغتسل فمات فلما قدمنا رسول الله ﷺ أُخْبر بذلك فقال عليه الصلاة والسلام : «**قتلوه .. قتلهم الله .. ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العىّ السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم .. ويعصب على جرحه خرقه ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده**»[رواه أبو داود] . . فالرسول عليه الصلاة والسلام يُعنِّف الصحابة ويعيب عليهم أنهم افتوا بغير علم . . لذلك اعتبرهم بمثابة القتلة لأخيهم . . وأوضح لهم أن الواجب كان مَنْ كان (عيى) لا يتسرع بالفتوى وإنما عليه أن يسأل لأنه (فوق كل ذى علم عليم) والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **. . .فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾** ﴾[النحل] . .

---

(١) البعد عن التعصب الممقوت . . واحترام كل من المختلفين لأخيه . .

إن التعصب للرأى والاختلاف فيه أمر له خطورته لأن الخلاف إذا كان للهوى وحب الظهور فهو شر ولهذا قال الله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ ﴾[الذاريات].

لهذا علينا أن نحاول دائماً أن نستمع إلى آراء غيرنا .. ونحن نحسن الظن بهم ثم علينا أن نُعْمِلَ فكرنا ونَعمل بما صحَّت به الأدلة على قبوله شرعاً لأن الأمة واحدة.. أما المَيل مع الهوى الذى يكون سبيل الضلال ورديف الفساد فهذا من الأمور الذى نُهينا عنه لأن أى إنسان يسترسل فى سبيل الضلال ويتبع موارده فإن ذلك يُنبت فى نفسه كثيراً من الأخطاء ويدفع ذلك بالإنسان إلى التردِّى فى مهاوى الضلال ولهذا قال الله سبحانه ﴿ .... قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ ﴾[الأنعام].. إن من فضل الله وتوفيقه على عباده أن كشف لهم عن مدى ارتباط مذاهب أهل الهوى وحرصهم على فكرهم وتعصبهم الأعمى عن الآراء الفاسدة والمعتقدات الباطلة .. وأنت تعرف هُؤلاء بسيماهم .. فآراؤهم مناقضة لصريح الوحى .. لا تتفق مع منهج السُّنَّة النبوية .. أفكارهم تتصادم مع مقتضيات العقول السليمة .. لأنهم يُبيحون ما حرّم الله وما يضر بالصحة وما يكون سبباً فى تدمير الإنسان وإتلافه كمن يُبيح شرب الخمر أو الزنا .. أو يحض على التبذير أو يُزيِّن الكذب والخيانة فأمثال هؤلاء مطيَّتهم الشيطان لذلك يقودهم إلى الشر والفساد والإفساد..

إن رسول الله ﷺ كون أُمَّة مثالية صنعها بعين الله ورعايته ورباها على هدى من كتاب الله وسيرته العطرة لأنه كان لهم قدوة (وهو قدوة للبشرية كلها) ولقد استطاع رسول الله ﷺ أن يوِّحد الأمة بعد أن كانت متفرقة .. وأن يحوِّلهم من رعاة غنم إلى قادة أمم حيث درّبهم وعلّمهم ونهاهم عن عبادة الخلق واتّجه بهم إلى عبادة الخالق .. وحرّر عقولهم من الجمود ونفوسهم من الهوى .. وكانوا يختلفون فى أمور كثيرة.. وكان الاختلاف بينهم .. لا يؤثر على العلاقات الدينية.. والصداقة الإنسانية .. وكان عُمرُ الخلاف لا يمتد .. وكان الاختلاف له أسباب .. وله آداب .. لذلك سَعدت حياتهم .. فمثلاً اختلفوا حول أمر رسول الله ﷺ لهم .. بأن لا يُصلوا العَصر إلاّ فى بنى قريظة .. وقد رأى فريق منهم أن الشمس

ستغرب فصلّى فى الطريق والبعض لم يُصلِّ العصر فى الطريق وإنما صلّى فى بنى قريظة بعد غروب الشمس . . وقد أقر الرسول ﷺ كل واحد على رأيه لأن كل واحد تأوّل الأمر وهو على صواب ولم يجعل الخلاف يدب فى نفوسهم . . كذلك ما حدث من اختلاف الصحابة فى صلح الحديبية . . وهو خلاف سياسى بالدرجة الأولى . . وقد حسمه رسول الله ﷺ ولم يؤثر على الصحابة . . كذلك ما حدث من اختلافهم فى وفاة رسول الله ﷺ وقد حسم أبو بكر الموقف . . واختلفوا كذلك فيمن يتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ واختلفوا فى حرب مانعى الزكاة . . وإعلان الحرب على المرتدين . . وفى تسيير جيش أسامة . . وقد حسم أبو بكر رضى الله عنه كل هذه المواقف . . والاختلاف إذ كان غرضه البحث عن الحقيقة وإظهارها فإن ذلك خير وبركة . .

اختلاف المسلمين إلى فرق

مما لا خلاف فيه أن اختلاف المسلمين أمر وارد ولا يغيب عن البال خاصة وأن النبى ﷺ قال:«**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة .. وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة**» وقد تكلم علماء السُّنّة فى صحة هذا الحديث الذى روى بعدة روايات مختلفة وقال عنه (المقبلى) فى كتاب (العلم الشامخ) بما نصه :(وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا تبقى ريبة فى حاصل معناه) .

والخلاف له جانبان

١ - اختلاف فى المسائل الفقهية التى لم يرد فيها نص من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً أو إقراراً . . كذلك لم يرد عن أحد من الصحابة . . لذلك قام بعض علماء الأمة واستنبطوا من كتاب الله وهدى رسوله وأقوال الصحابة الكرام ما يفيد الأمة فى أحكام دينها وما يفيدها فى مسائل الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مراعاة للتطور الزمنى وما ينشأ من مسائل تتطلبها الظروف المعاصرة . . فكان العلماء يجتهدون ويستنبطون ويراعون المصلحة العامة ويقيسون الأحكام التى

يضعونها على ما سبق فعله مع الاسترشاد بالقرآن وهدى الرسول عليه السلام. . وكان الاختلاف فى وجهات النظر مع أن كل واحد من الأئمة المجتهدين كان يستعين بأحسن ما وصل إليه رأى المجتهد الآخر. . ويوافقه أو يخالفه . . وكان عمر بن عبدالعزيز يقول :(ما أُحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لا يختلفون لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس فى ضيق. . ولأن الأئمة يختلفون فى الفروع لا فى الأصول فهذا تيسير على الناس. . وكان كل واحد من الأئمة المجتهدين يقول (رأيى صواب يقبل الخطأ. . ورأى غيرى خطأ يقبل الصواب) . . ولم نلحظ أن واحداً من العلماء سخر برأى أخيه ولا تهجم عليه ولا تعصب لرأيه فقط.

٢ - اختلاف حول السياسة وأمورها :

وهذا الخلاف بلا شك شر ووبال على الأمة لأن الأمور السياسية إذا لم يلازمها الاعتدال والفهم لمجريات الأحداث كانت وبالاً على الأمة لقول الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[مريم] . . وقد نشأ هذا الخلاف بسبب مجاورة المسلمين واحتكاكهم بكثير من أهل الديانات القديمة الذين دخلوا فى الإسلام وفى رؤوسهم معتقدات ونظم دياناتهم السابقة . . وقد استولت على مشاعرهم وأحاسيسهم تلك المعتقدات ولم يتخلصوا منها فكانوا يفكرون فى أركان الإسلام وحقائقه على ضوء اعتقاداتهم القديمة وكانوا يُثيرون بين المسلمين ما كان يُثار فى ديانتهم من الكلام عن (الإنسان مُسَيّر أم مُخيَّر) وكانوا يبتكرون أساليب ملتوية لتغيير المفهوم الواضح من القرآن والسُّنة وغير ذلك . . وكان بجانب هؤلاء أناس دخلوا فى الإسلام ظاهراً وكانوا كما يقـول اللـه عنهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[البقرة]، ويقول سبحانه : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[البقرة] هؤلاء وأولئك كان الهدف من دخولهم فى الإسلام أن يُفسدوا على المسلمين أمور دينهم وينشروا بينهم الأفكار المنحرفة المضلِّلة وفى هذ يقول ابن حزم (الأصل فى خروج أكثر هذه الطوائف من ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد وجلال

المنظر فى أنفسهم على جميع الأمم . . حتى إنهم كانوا يُسمُّون أنفسهم الأحرار والأبناء (أى للّه) وكانوا يُعدّون جميع الناس عبيدا لهم فلما أُمتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب وهم أقل الأمم عند الفرس خطراً . . فغاظ الفرس ذلك وتضاعفت لديهم المصيبة وراحوا يخططون لكيد الإسلام وإعلان الحرب النفسية على العرب بترويج الإشاعات ونشر الأفكار الهدامة وكان منهم قوم استمالوا أهل التَّشيع إليهم وإظهار محبة آل بيت النبى ﷺ . . ونسجوا حولهم قصصاً وروّجوا أفكاراً لم تكن معروفة وساعدهم فى ذلك:

أ - ترجمة الفلسفة وكُتبها وكان لذلك أثر بيِّن فى الخلاف وبسبب القراءة فى الكتب الفلسفية التى تبحث فى الكون والمادة وما وراء الطبيعة وكان من أثر ذلك أن ظهر فريق نزعوا منزع السوفسطائية كما ظهر مَنْ فكّر فى العقيدة الإسلامية تفكيراً فلسفياً (كالمعتزلة) وجرّهم ذلك إلى دراسة مسائل ليس فى استطاعة العقل البشرى الوصول إلى نتائج ثابتة فيها كمسألة إثبات صفات الله ونفيها ومسألة قُدرة العبد بجوار قدرة الرب إلى غير ذلك من أمور جعلت المسلمين يدخلون فى دوّامة الخلاف حتى وصل الكلام عن القرآن وخلقه وغير ذلك من المسائل . .

ب- ساعد على خلق هذا الجو واتساعه ما ورد فى القرآن الكريم من آيات متشابهات وكان ذلك سبباً فى اختلاف بعض العلماء خاصة فى تفسير المتشابه . . لأن من العلماء مَنْ تأوّل ومنهم مَنْ توقف عن التأويل وكانوا يقولون (الله أعلم بمراده).

جـ- استنباط الأحكام الشرعية من القرآن والسُّنة وأقوال السلف الصالح . . لأنه من المعلوم أن النصوص تتناهى . . أمّا الأحداث فلا تتناهى . . فكان لابد من استنباط حكم شرعى لكل حادثة من الحوادث التى لم يرد فيها نص صريح من القرآن الكريم أو سنة رسول الله ﷺ أو قول الصحابى أو تابعى الخير ذلك . .

د - ظهور بعض الناس يختلقون قصصاً من نسج خيالهم ومحاولة طرحها على الناس فى المساجد والمنتديات . . والرجوع إلى كتب اليهود وقصصهم والزج بها فى

كتب التفاسير والتاريخ ، وهذا ما سُمِّى بـ (الإسرائيليات) وكان الهدف من وراء ذلك إغلاق عقل الإنسان حتى لا يبحث . . والحجر على فكره والطمس على هويته وإثارة البلبلة والتشكيك بين جماهير المسلمين . .

و - مشكلة المشاكل التى آثارها أعداء الإسلام هو الحديث عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فبعض الذين دخلوا فى الإسلام للنيل منه وهدم عقيدته وضعوا بعض القصص حول سيدنا على وحاولوا التفرقة بين الصحابة وبهذا الأسلوب . . وتكلموا عن الخلافة ومَنْ أحق بها . . وهل هو من قريش؟ أم هو الإمام على رضى الله عنه وأولاده؟ . . وأدت هذه الآراء إلى ظهور تمرد على سيدنا عثمان الخليفة وقتله ثم شاعت الفتنة . . ودخل المسلمون مع بعضهم فى حرب وقد أدى ذلك إلى ظهور فرق كالخوارج . . ثم ظهر على مسرح الحياة السياسية (الشيعة) . . وهناك رأى يقول أن الشيعة أقدم من الخوارج لأن الشيعة ظهروا فى آخر عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه ونمت وترعرت فى عهد سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه . . وقد اتسع نطاق مذهب الشيعة فى عهد الأمويين عندما اشتد الظلم على أولاد على ولحق بهم الأذى ورأى الناس الكثير من قادتهم يسقطون شهداء نتيجة الظلم من الأمويين . . ويقوم مذهب الشيعة على :

(١) الإمامة . . فهذه أهم الأُسس عندهم لأنهم يرون أن الإمامة ليست قضية مصلحية تُناط باختيار العامة . . بل هى قضية أصولية . . وهى ركن الدين ولا يجوز للرسل إغفاله وإهماله وإنما يجب تعيين الإمام والتنصيص عليه .

(٢) عصمت الأئمة . . عصمتهم عن الصغائر والكبائر . . واتفقوا على أن الإمام على بن أبى طالب أفضل الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وهو الخليفة المختار من النبى ﷺ . . ولذلك اعتبروا أن أبا بكر وعمر وعثمان انتزعوا الخلافة من على . . ولذلك غالوا فى تقدير الإمام على رضى الله عنه .

فى الجانب الآخر نرى أن الحكم آل إلى الأمويين . . ومعلوم أن الأمويين بقيادة معاوية دخلوا فى حرب مع سيدنا على كرّم الله وجهه . . ك (صَفِّين) و (الجمل)

مواقع معروفة وحروب دامية وانتهت بمؤامرة قتل فيها سيدنا على رضى الله عنه وكان الأمويين يبغضون علياً وأولاده بل أدى الأمر إلى أن الأمويين كانوا يلعنون علياً على المنابر عقب تمام الخطبة وصَمّوا آذانهم عن استنكار الصحابة لهذا الفعل . . لكن أم سلمة رضى الله عنها زوجة النبى ﷺ وأم المؤمنين وجَّهت خطاباً شديد اللهجة إلى معاوية رأس الدولة الأموية تنهاهُ عن ذلك وتقول فيه :(إنكم تلعنون على بن أبى طالب ومن أحبَّه وأشهد أن رسول الله ﷺ أحَبَّه) وخفف الأمويون هذا الأسلوب. . لكن . . فى عهد يزيد بن معاوية قُتل الإمام الحسين بن على رضى الله عنهم وعن آل بيتهم الأطهار . . ثم أُخذت بنات الإمام الحسين وأخواته وأولاد إخوته سبايا إلى يزيد بن معاوية . . ورأى الناس أبناء وبنات وأحفاد فاطمة الزهراء العترة الطاهرة . . فى هذا الموقف اشتد ألم الناس وكظموا غيظهم وهم لا يستطيعون تغييراً فى هذا الأسلوب ولا يملكون تحويل الحكم . . فاندفعوا إلى المغالاة فى تقدير آل البيت وحُبِّهم والتغنى بهم . . وكلما سمع الأمويين بذلك وعرفوا غالوا فى إيذاء آل البيت . .

حماية الله للإسلام

الرسالة المحمدية هى خاتمة الرسالات .. وهى عالمية بذلك فهى ليست محصورة فى مكان ولا زمان وهى تهتم بالعقل وتدعو إلى الحفاظ عليه . . لأن هذه الرسالة مُوَّجهة إلى العقل تُناقشه وتحاوره بالأدلة والبراهين حتى يقتنع العقل بما يدعو إليه الإسلام لأن فيه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة ، ولقد أوكل الله سبحانه وتعالى حفظ الرسالات السابقة من عهد آدم إلى سيدنا عيسى إلى أتباع هذه الرسالات وقادتها فلم يحفظوها لأنهم غيروا فيها وحرّفوا وبدّلوا وكتبوا بأيديهم كُتباً نسبوها إلى الله ولهذا قال الحق سبحانه ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً** .. ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة].. أما الرسالة المحمدية فهى خاتمة الرسالات . . فليس بعد سيدنا محمد رسول ﷺ أى

رسول ولا نبى وليس بعد القرآن كتاب ينزل من السماء لذلك تولى الله حفظ الديانة الإسلامية كما حفظ كتابها المقدس . . وحفظ أركان الدين الإسلامى. . لأن هذا الدين هو الدين العالمى فتولى الله حفظه . . ولهذا فلن يحدث فيه أى زيادة ولانقصان. . يشير الحق إلى ذلك بقوله :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾[الحجر] . . والتاريخ أكبر شاهد من أن أعداء الإسلام حاولوا بكل ما أوتوا أن يزيدوا فى القرآن أو أن ينقصوا منه لكنهم فشلوا رغم تكرُّر ذلك منهم ملايين المرات. . فاتجهوا إلى السُّنة النبوية يضعون الأحاديث ويختلقونها وينسبونها إلى رسول الله ﷺ فقيَّض الله رجالاً قاموا بغربلة هذه الأمور وتنقيتها ودافعوا عن السُّنة دفاعاً عظيماً . . ونعود إلى ألاعيب أعداء الإسلام. . لقد نشأت الشيعة فى مصر فى عصر الخليفة الراشد ذى النورين عثمان بن عفان . . وقامت فكرة التَّشيُّع على حب الإمام على . . ووجد الدعاة لها فى مصر أرض خصبة ثم اتجهت إلى العراق حيث استقر بها المقام. . والذين تشيَّعوا للإمام على اشتملت آراؤهم على أفكار فلسفية وأمور دينية سابقة على الإسلام . . والعراق لها صلة بالفرس . . وقد انتهت حضارتهم بظهور الإسلام . . الفرس يدينون بالولاء للملك ويؤمنون بوراثة الملك من أفراد البيت الملكى . . وهذه عقيدتهم. . لذلك قال الشيعة بأن النبى ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى فأولى الناس بالخلافة من بعده ابن عمه على بن أبى طالب. . فمن أخذ الخلافة وتولاَّها كأبى بكر وعمر وعثمان فقد اغتصب الخلافة من على . . أمر آخر له أهمية أن الفرس اعتادوا أن ينظروا إلى الملك نظرة تقديس واحترام وإجلال . . وقالوا. . إن طاعة الإمام واجبة لأن طاعته طاعة للَّه سبحانه. .

فى هذا المناخ الاجتماعى العام ظهر شخص من اليهود دخل فى الإسلام وبدأ يُردّد هذه الأفكار ويُروجها وبدأ يُشيع أفكار الفرس ويُحيى عقيدتهم فى شخص الإمام على بن أبى طالب وآل بيته، هذا الشخص هو (عبدالله بن سبأ) وقد أظهر المغالاة فى حب الإمام علىّ . . وكان يُعلن أن علياً شخصية مقدسة ومن كلامه قوله:(أنه قرأ فى التوراة أن لكل نبى وصايا. . وأن علياً وصى محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء . . ثم إن محمداً سيرجع إلى الحياة الدنيا)

وأخذ يُروِّج فكره الضال ويجد له أنصارا وكان أعداء الإسلام يدفعون بكثير من الشخصيات تُعلن إسلامها وتروِّج لأفكار ابن سبأ . . وهنا نتذكر ما روى عن السيدة زينب بنت جحش . . زوجة النبى ﷺ وأم المؤمنين فقال قالت: (استيقظ رسول الله ﷺ ذات يوم مُحْمَراً وجهه وهو يقول . . ويل للعرب من شر قد اقترب) وهذا أكبر شر أصيبت به الأمة حيث زعم ابن سبأ أن الأُلوهية حلَّت بجسد الإمام على والأُلوهية تحل فى الأئمة من بعده . . وبهذا القول الفاسد الذى لا نقره ولا نرضى به ظهرت هناك فرقة رافضة لخلافة الخلفاء الراشدين (أبى بكر وعمر وعثمان) بل وتطاولوا عليهم كما حدث فى صدر الدولة الأموية من التطاول على الإمام على . . ثم انقسمت الشيعة إلى فرق . . لكن الذى يهمنا . . أن الحوار بآدابه وقيمه كان يتم بين المغالين والمعتدلين إلى أن عبرت الأمة هذه المحنة . . وإن كانت هناك رواسب إلى الآن لكن المعتدلين دائماً ينادون بالتقريب بين المذاهب والحوار الهادف لنقى الأمة شر الخلاف لأن المسلمين تتناوشهم السهام من كل حدب وصوب . . وكلمة حق نقولها هذه الأحداث لم نشهدها بأنفسنا ولم نشارك فيها بسيوفنا فلنحفظ ألسنتنا عن الخوض فيها . . ونعرف للصحابة منزلتهم ولا نقول فيهم إلا خيراً.

الاختلاف ضرورة

إن الاختلاف فى وجهات النظر وتقدير الأشياء والحكم عليها أمر طبيعى . . لأن ذلك يرجع إلى فطرة الإنسان التى فطره الله عليها . . ولأنه يستحيل قيام شبكة من العلاقات الاجتماعية بين الناس ذات نمط واحد متفقون فى التفكير قُدراتهم متساوية . . ولو كان الأمر كذلك فلا مجال إذاً للتفاعل واكتساب الخبرات والترقى فى المجتمع . . ثم إنه لو كان الأمر كذلك لانمحت الأعمال الذهنية والعطاء العملى . . لكن حكمة الله سبحانه اقتضت أن يكون بين الناس فروق فى التفكير العقلى وتباين فى العطاء الذهنى وعلى هذا فالناس مختلفون فى درجات التفكير وسُلَّم العطاء وصدق الله العظيم ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴿١١٨﴾** ﴾[هود] . . ولقد اختلف السلف الصالح رضوان الله عليهم ولم يكن

اختلافهم سبباً فى أن يتفرقوا لأن اختلافهم فى الرأى كان للمصالح العامة وكانوا دائماً يتناقشون ويتبادلون الآراء حول بعض القضايا التى لم يرد فيها نص وكانوا يبدون رأيهم ويستمعون للرأى الآخر لأنهم استوعبوا وفهموا قول الله تعالى: ﴿ .. **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)** ﴾[**الروم**] . . إن الاختلاف وعدم الانصياع إلى الحق والتعصب للرأى وافتقاد الحوار البنَّاء هذه أمور تُفوِّت علينا الهدف الذى نريد أن نحققه لصالح الإنسانية . . خاصة وأننا نختلف دائماً حول المندوب أو المباح والاختلاف دائماً فى هذه المسائل يُفوِّت علينا الغاية العظمى التى نسعى لاكتسابها . . لأننا نتعصب دون وعى أو إدراك للمسئولية وذلك يُفقدنا أدب الحوار وأخلاقيَّاته ونسقط فريسة سهلة تتآكلنا الأحقاد . . ويُخيِّم على تصرفنا التشاؤم فيتبلَّد الحس ويفشوا فى المجتمع التنازع والتناحر وهنا تكون حياة الإنسان مضطربة لا يشعر الشخص بالهدوء أو الاستقرار وينتهى الحال إلى ضياع القوة والفشل الذريع وإلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿ .. **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.. (٤٦)** ﴾[**الأنعام**] . . كما بقول سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ..** ﴾[**الأنعام**] إن الخلاف فى الرأى . . وعدم الانصياع إلى الحق يؤدى ذلك إلى التفرق والتمزق وهذا طبيعة الاختلاف الأهوج الذى يغلب عليه الهوى ويسيطر على الشخص الجمود وضيق الأفق فلا يُحب إلاَّ نفسه ولا يسمع إلاَّ صوته ولا يأبه بالآخرين . . لهذا نرى أن الحوار الهادف أفضل وسيلة للبعد عن الخلل الفكرى الذى أصاب العقل وأوجد هذه الأزمة الأخلاقية التى يُعانى منها السلوك الإنسانى . . لهذا علينا أن نؤمن بأن الاختلاف فى الرأى أمر حتمى لأنه ظاهرة طبيعية . . لكن علينا أن نستعمل العقل . . ونتجاوز الاختلاف . . ولا نتعصب التعصب الأعمى بلا دليل . . وعلينا أن نلتزم أدب الحوار . . وأن يكون الاختلاف فى دائرة الحدود الآداب والأخلاقيات التى يجب الحرص عليها ومتابعتها وصدق الله العظيم ﴿ .. **وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ .. (٢٦)** ﴾[**ص**] . . إن علينا ألاَّ نتأوّل من عند أنفسنا وألا نُحمِّل الكلام أكثر مما يحتمل ولا نتّهم الناس ونظن بهم سوءاً لأن الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا .. ﴿١٢﴾ ﴾[الحجرات] . . ولقد حدث أن الرسول ﷺ بعث سَرِّية فيها (أسامة بن زيد) الذى يقول فصبحنا الحرقات من جُهينة فأدركت رجلا فقال (لا إله إلا الله) فطعنته . . فوقع فى نفسى من ذلك فذكرت للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «أقال لا إله إلاَّ الله وقتلته؟» قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح . . قال : «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ .. مَنْ لك بـ لا إله إلاَّ الله يوم القيامة؟» فما زال يكررها حتى تمنّيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)[أخرجه الشيخان وأبو داود] . .

إن الناس لو اختلفوا فتحاوروا فيما اختلفوا فيه بدافع من الحرص على إظهار الحق لبات كل عن أخيه راضٍ .

إن بقاء الأمة رهينة بتآلف القلوب . . والقلوب لا تأتلف إلاّ على الحق . . لأنه ما كان للَّه دام واتصل . . وما كان لغير الله انقطع وانفصل . . ولقد عشنا تجربة حيَّة فى بناء دولة قامت شامخة فى المجتمع الإنسانى تُضِىء للناس معالم الطريق . . وتهدى إلى الصراط المستقيم . . هذه الأمة كانت ممزقة بل كانت فى آخر القافلة الإنسانية ألغت عقلها فسجدت للأصنام وَوَأدت البنات وشربت الخمر ولعبت الميسر وقطَّعت الأرحام وأكل القوى الضعيف . . وعلى حين فترة . . بعث اللَّه إلى هذه الأمة رسولاً منهم . . فعلَّمهم أسلوب الحوار وعرّفهم حقوق الصاحب على صاحبه ونهاهم عن الفحشاء والمنكر وعلّمهم حسن الجوار وأدب الحديث . . فانقلب هذا المجتمع بفضل الله ورعايته . . وعلى يد النبى العظيم . . إلى أمة مثالية أصبحت فى مقدمة الدول حضارة ورُقياً وتغيّر حالهم من رعاة غنم إلى قادة أمم لأنهم أجادوا (فن التعامل) ودليلهم ومرشدهم قول اللـه تعالـى: ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ..﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران] . .

إن الكلمة الطيبة تؤلف بين القلوب والدعوة إلى الحق بالحسنى تزيد الحب فى القلوب لهذا كان من الأدب الذى أرشدنا إليه ربنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ

مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات] . . والرسول ﷺ علمنا أدباً عظيماً وهاماً عن الاختلاف فيقول كما جاء فى الحديث الصحيح : **«اقرأوا القرآن ما ائتلف عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا»**[أخرجه الشيخان]. . أى تفرقوا عن بعض حتى تهدأ النفوس ثم عودوا إخوة متحابين . . وهذا أسلوب فى لمِّ الشمل واتحاد الصف . .

لكن .. لا يصح

إذا كان الخلاف طبيعة البشر . . لكن لا يصح إلاّ الصحيح . . والرجوع إلى الحق دائماً فضيلة . . ولذلك ظهرت فى المجتمع الإسلامى بعض الفرق التى تعصبت لرأيها وتمسّكت بباطلها . . ولم تقبل الدخول مع العقلاء فى حوار هدفه . . تجلية الحقائق . . وإزالة الشُّبه . . وإظهار الحق ونشره وتعميمه من هذه الفرق (الخوارج) والذين شكّلُوا هذه الفرقة كانوا ممن أسلموا حديثاً ومن الذين روُّجوا الشائعات حول سيدنا (عثمان رضى الله عنه) وانتهى الأمر بقتله . . فانضموا حول الإمام على . . وكانت لهم مواقف مخزية . . لكن الأحداث كانت تجرى بسرعة. . ودخل الإمام على فى حروب . . وكانوا معه يُشعلون نار العدواة . . ويوقظون الفتن النائمة . . ثم أشعلوا ناراً حامية. . عندما أشاروا على سيدنا على بقبول التحكيم عندما رفع معاوية ومن معه المصاحف على أسنة الرماح . . وقالوا نحتكم إلى كتاب الله. . ورفض سيدنا على هذه الفكرة وقال هى خدعة حرب . . وهى كلمة حق يُراد بها باطل . . لكنهم أجبروه على قبول التحكيم . . وبعد أن قبل الرأى الذى أشاروا به خرجوا عليه ولذلك أصبحوا يُسمّون (الخوارج) وكانت آراؤهم كلها تدور حول الحكم والسياسة ثم صارت لهم آراء ومذاهب فى مسائل مختلفة . . فهم يُكفِّرون الإنسان عندما يرتكب الذنب ثم تطالوا على مقام الصحابة وكفّروا الكثير منهم وأصبحوا من أهل البدع والأهواء وألّفوا القصص ووضعوا الأحاديث التى تخدم فكرهم وتؤيد آراءهم ولم ينصاعوا لأحد من العلماء . . وكانوا كما يقول القرآن عنهم ﴿ .. بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الزخرف] . . وعلى هذا الأساس هذه الفرقة أخذت كلمة من القرآن بترتها عمّا قبلها وعمّا بعدها وجعلتها دستور حياتها هذه الكلمة (إن الحكم إلا للّه) ، وهى جزء من آية من سورة الأنعام ومن المؤكد أن أى مسلم عليه أن يرضى بحكم الله ولا يخرج على منهج اللـــه لقــول اللـــه تعالــى﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** .. ﴿٥١﴾ ﴾[النور] . . فليس هناك خلاف أبداً فى أن الحكم للّه فيما ورد فيه نص صريح فى القرآن الكريم أو فى أحاديث رسول الله ﷺ وما صحّ عن الصحابة والتابعين . . لكن هؤلاء الناس بغبائهم وجهلهم وحُمقهم فَسَّروا النصوص على أهوائهم . . وفصلوا الأحكام على ما يروق لهم. . ولقد تبعهم فى هذا المضمار شخصيات منحرفة المزاج يلبسون الحق بالباطل وساروا فى غيِّهم يتشدَّدُون حتى قالوا فى يوم من الأيام لابن عباس وقد رأوه يلبس ثياباً يَمَنِّيَة الصنع جميلة فقالوا له: ما هذا اللباس يا ابن عباس؟ فرد عليهم بقول الله ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ... ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف] . . ثم يقول ابن عباس وقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من اليمنية . . لكن (الخوارج) تمايلوا على بعضهم وقالوا: إياكم والكلام معه . . إن قريشاً قوماً خصمون . . ولك أن تتأمل فى هذا الأسلوب ليتبيّن لك بوضوح أن فكرهم سقيم ورأيهم عقيم لذلك لم يكن وراءهم أى خير فى أى زمان . . ومازالت بعض آرائهم تردد فى جنبات المجتمــع. . وتهب بسببهم رياح الفساد على البشر . . ويدب الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان بسبب مَنْ يقرأ فى كتبهم وأفكارهم وليست عنده حصانة دينية ولا ثقافة إسلامية تؤهله لتنفيذ آرائهم وضحد شُبهاتهم . . وكم عانت المجتمعات الإسلامية بسبب تطرفهم وضيق أفقهم وتزمّتهم فى آرائهم . . ومع هذه الأفكار المظلمة وظهور البدع وانتشار القصص الموضوع ووضع الأحاديث على رسول الله ﷺ إلاّ أنه والحمد للّه بقى الإسلام ناصعاً بأحكامه يؤدى رسالته الحياتية حيث وجَّه الناس إلى الحوار وأرشدهم إليه فتمسّكوا به . . وان اختلفوا لكنهم لا يحيدون عن الحق. . وفضل الله عظيم على المسلمين حيث حفظ لهم الدين الذى ارتضاه للإنسانية كلها

وجعل أحكامه مُيسَّرة لا غموض فيها ولا إيهام وصدق الله العظيم ﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .. ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة] . . وكذلك قوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء] .

لهذه الأسباب نقول بأن الاختلاف أمر وارد . . لكن التشدّد والتزمت وعدم الانصياع إلى الحق أمور مرفوضة لهذا نحن نقول . . نريد حواراً لا صراعاً لنحافظ على هويِّتنا . . ونؤدى رسالتنا فى الحياة . . تعمير وبناء لا نتصارع مع أى حضارة . . ولا نرفض رأياً يؤدى إلى مصلحة الجماعة ولا نحجر على عقل يُفكِّر . . وإنما نُرشِّد ونُهذب ونوجِّه بالتى هى أحسن ونسلك دائماً سبيل المعتدلين بلا إفراط ولا تفريط . . وكتاب الله يُرشدِّنا . . وهدى سيدنا محمـــد ﷺ يُوجِّهنا وشعارنـــا ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴿٣٤﴾ ﴾[فصلت] . . إن الحكم إلا للَّه نعم ولكن ما هى الوسائل وما هو الطريق - إذاً لا بد من وضع الضوابط والعلماء قد فصلوا ذلك وبينوه حتى لا تختلط الأمور .

إن البشرية لن تجد لنفسها باباً تدخل منه لتعيش فى جو الأمن والسلام والاستقرار والهناء إلاّ باب (الدين) فهو الذى يحقق للإنسانية كلها رغد العيش وحياة الاستقرار والإنتاج الجيد والأمـــن النفسى وصـــدق الله العظيم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾[محمد]، وفى قوله سبحانه ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴿٥﴾ ﴾[محمد] .

إن الإيمان إذا ضاع من دنيا الناس . . وغابت لغة الحوار . . ودبّ الخلاف وظهر الاختلاف وتمسك كل برأيه . . انقلبت الحياة إلى جحيم وتأخرت المجتمعات وتفككت الأسر وانهارت القيم وقُضى على البشرية وصدق الله العظيم : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[مريم] . .

والذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم الحق ونسوا الحوار ودخلوا فى الصراع قال عنهم ربنا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام] . .

والذين اختلفوا هم أنصار الشيطان وأعوانه يقودهم دائماً إلى الهلاك ولهذا يقول الحق سبحانه فيهم وفى أمثالهم﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[المجادلة] . .

ولعل فى قول الشاعر ما يُنبهنا . . ويجعلنا نعيد صياغة العقل . . وترتيب الفكر وإعداد النشء على التمسك بالحوار وآدابه حتى نتذوق الجمال الفنى ونتعايش مع بعضنا بأحاسيس المودة ونتأثر بانفعالات الأخوة ونحرص على التمسك بالدين والدفاع عنه . . يقول الشاعر :

إذا الإيمان ضـاع فلا أمـان	ولا دنيـا لمـن لم يُحى دينا
ومن رضى الحيـاة بغير دين	فقـد جعل الفناء لها قرينـاً

فهل نعتبر ونعود إلى المبادئ الأصيلة لقيم الدين . . ونتحاور تحاور العقلاء . . ونبتعد عن الخلاف الذى يقودنا إلى التعصب ويميت الهمة فى البشر . . ويقتل صحوة الإرادة عند الإنسان .

أين الحوار الدولى

مفهوم الحوار أنه يبتدئ بإعلان قضية واضحة المعالم بيِّنة الحجة : . وهذه القضية عندما تعرض من طرف . . ويقبل الطرف الآخر الدخول فى حوار مع الطرف الأول ليرد على الحجج ويُفنِّد الآراء والأدلة التى ساقها الطرف الأول الذى يجب عليه الاستماع ثم يقبل أو يرفض . . فإن رفض يكون تجديد البيِّنات والأدلة واتباع أفضل أساليب الإقناع مع الالتزام بالخلق الكريم وأدب الحوار . . ونعرض قضية عرضها القرآن الكريم وهى﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا

وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴿٦١﴾ إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ﴿٦٢﴾ فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴿٦٣﴾ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران] . .

إن الآيات تبدأ بإعلان أن الله هو الحق ويبعث أنبياءه بالحق وليس فى الوجود من يجرؤ أن يُشكك فى الوحى الذى نزل على الأنبياء . . فإن شكَّك الكذابون والمنافقون وأصرّ كل منهما على موقفه لأنه ليس بين المؤمنين وبين الكذابين نقطة لقاء فأحد الطرفين صادق والآخر كاذب وهنا يتطلب الدعاء للَّه رب العالمين أن يصب غضبه ولعنته على الكاذبين لأن موقف سيدنا محمد ﷺ هو تبليغ رسالة الله كما أُنزلت وهو موقف حاسم لا مفاصلة فيه . . وليس هناك مساومة للتقريب بين الحق والباطل والقضية المطروحة إذاً هى:

١ - تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.

٢ - ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً.

٣ - ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

فالقضية المطروحة للحوار قضية واضحة المعالم جليَّة حاسمة . . هى قضية متساوية بيننا وبينكم . . فتعالوا إلى كلمة سواء فإن آمنتم بذلك حقاً نتشاور ونتناقش . . أما إذا لم تؤمنوا . . فعلى ما نتناقش إذاً نُنهى الحوار . . ولهذا تقول الآية ﴿ فإن تولوا ﴾ أيرفضوا الانصياع إلى الحق فنشهدهم ﴿ بأنا مسلمون ﴾ إننا نلحظ . . أننا نعلن الحوار وأهل الكتاب يعملون بكل ما لديهم على نشر وسائل التدمير فى صفوف المسلمين . . التدمير الأخلاقى والقيمى . . تدمير للفتك بأرواح مئات الألوف من المسلمين حول مقدساتهم . . حوار والمسلمون مستضعفون هنا وهناك . . فأين الحوار إذاً؟ هل حوار نفتح به صفحات التاريخ الذى يحمل لغة التسامح والعفو والإحسان والعيشة الهنيّة لاتباع كل الأنبياء وأصحاب الملل والنحل فى ظل الإسلام

وعطف المسلمين . . أم نفتح به صفحات التاريخ لنتحاور فى أبشع الجرائم التى صُبّت على المسلمين فى الأندلس وكشمير وفلسطين وبلاد البلقان ؟ أم نفتح التاريخ على غزو التتار وهجماتهم الشرسة على العالم الإسلامى؟ أم نفتح التاريخ على صفحات الحروب الصليبية؟ أم نفتح صفحات التاريخ ونقرأ ما بين السطور وتحت الكلمات على ما يجرى فى دول الخليج وفلسطين ومحاصرة رئيس دولتها بالدبابات وقطع كل البنية الأساسية عن الغرفة المحجوز بها ومنع الماء والدواء عنه؟ أم نتحاور ونتساءل عن الشباب الذى يقتل أمام أهله وذويه ثم تعرض الجثث على شاشات التليفزيون؟ . . إن الحوار والحالة هكذا يكون بلغة المستضعف الذليل . . لذلك يجب علينا أن نعيد حساباتنا . . وصياغة العقل الإسلامى من جديد ليستوعب هذه الأحداث ويعيد من جديد تخطيط استراتيجيته بعد أن يسترد حقه الضائع والمنهوب تحت سلاح الغطرسة والتعصب الأحمق وعدم الانصياع إلى الحق . . إننى أذكر المسلمين بقول الله تعالى: ﴿ .. وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.... ﴿٤٩﴾ ﴾[المائدة] . . فليحذر المسلمون إذاً وعليهم أن يدركوا أن آباءهم تغنوا فى الماضى بأننا لنا عزة وكرامة حتى قالوا:

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً ... تخر له الجبابر ساجدينا

لهذا لا يغيب عن بالنا أبداً بعض قواعد الإسلام ونحن نجرى وراء هذه الدعوات التى تظهر تارة فى الدعوة إلى (الحوار) وفى بعض الأحايين تحت شعار (وحدة الأديان) وفى مرة ثالثة (التقريب بين المذاهب) فهناك غموض يحيط بهذه المصطلحات وعلينا ألاّ نُحمل الإسلام وحده ما يظهر على الساحة من آراء تحت ضغط واقع المسلمين اليوم من وهن وهزائم وضعف وهذا أمر واقع يفرضه واقع المسلمين فعلينا ألا نُحمِّل الآيات والأحاديث مسوغات تدفع بنا فى مسلسل التنازلات وتُغيِّبنا عن الواقع المراد لنا . . إن بعض المسلمين يغيب عنهم الوعى والإدراك بأن أعداء المسلمين

لديهم شخصيات متخصصة بدقة وفطانة فى الدين الإسلامى ويعلنون موالاتهم للمسلمين ليركنوا إليهم وينخدعوا بمعسول أقوالهم ويعلنون تأييدهم لهم وهكذا يكون المنزلق الخطير الذى يُسميه أعداء الإسلام (تكتيك) لجر ضعاف المسلمين وكسب تأييدهم . . وهذه الظاهرة يتعامل بها أعداء المسلمين على أسس تخطيطية ورسم خطة واضحة لتحقيق أهدافهم العليا . . فى الوقت نفسه نجد أن الذين خدعوا بهذا من المسلمين ليس لديهم خطة ولا منهج يلتقون عليها بل إن بعض الذين يمثلون المسلمين فى الحوار كانوا يدينون فى يوم ما بالشيوعية بل واليوم يؤمنون بالعلمانية وليس لهم رصيد فى عمل دينى أو اجتماعى أو اقتصادى أو غير ذلك. . فإذا كان عدو الإسلام لا ينزل إلى حلبة الحوار وهو معزول عن هدفه أو غير مُدرب على مائدة فكرية دينية وإنما نزل إلى حلبة الحوار من خلال تدريب على منهج يخدم أهدافه المعلنة وغير المعلنة ويقف من ورائه صف من خيرة علماء فكره ومجموعة من رجال الإعلام والسياسيين ومُدونّوا التاريخ . . لهذا علينا نحن كمسلمين أن ندعوا أنفسنا إلى إقامة حوار بيننا وبين بعضنا لنتعرف وندرس ونفحص فى أوراق التاريخ . . ونحن أمة علّمنا ربنا أن علينا أن نختار فريقاً نُصقل موهبته وندربه ونؤهله ليكون على دراية بعلم التاريخ وعلم الأديان والمذاهب والملل والنحل ونُفرِّغه لهذه المسئولية ونكفيه مؤونة الحياة ونُهيىء له كل وسائل الراحة ليكون دائماً على صلة بالعلم وأخباره ومعرفة تامة بما يجرى فى العالم وأن يكون لديه حصانة حتى لا نعكر صفوه بين الحين والحين . . وأن يعيش فى كنف الدولة وحمايتها فى جو يتسم بالأمن النفسى والاستقرار وهذا ما أشار إليه الحق فى قوله : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة] . . إن بعض الناس لا يفهمون هدف بعض الآيات القرآنية ويقولون علينا أن نتعامل مع الناس بالحسنى ويتنازلون عن كثير من حقوقهم وهم بذلك أخطأوا لأنهم يزينون للغير أفعاله ويمتدحون مبادئه وأدبه وأفكاره وهنا تنقلب الآية فى معناها ومغزاها . . ولذلك علينا أن نفهم أن الدعوة إلى الإيمان واضحة وجادة وصريحة ليس هناك مداهنة أو مساومة. . ونؤكد على أن أساس العلاقات الاجتماعية بين الناس ﴿ .. وَلَا يَتَّخِذْ

بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ .. ﴿٦٤﴾ [آل عمران] . . وليس هناك مجال للجدال والخلاف والشقاق وأن يكون أسلوب الحوار من المسلم يجمع قوة الحجة . . وصدق النيّة . . وسلامة المنهج .

والأمر إذاً يتطلب الدعوة فى النظر إلى ما يمكن أن نتعاون فيه فى الحوار بحيث نتعرض لموقف المسلمين الذين تراق دماؤهم فى فلسطين وكشمير وبلاد البلقان وسائر بلاد العالم من الأقليات ويكون الحوار حول القوة المسيطرة التى تريد أن تحكم العالم بموازينها المضطربة . . وشعاراتها الجوفاء ومكاييلها المتعددة!! يذكر التاريخ أن المسلمين دخلوا متضامنين فى أكثر من موقف مع من ادعوا الديمقراطية أو العلمانية . . أو الشيوعية . . وكان ثمرة هذا التضامن وبالاً على المسلمين لأننا عندما رصدنا نتائج هذا التضامن ظهر أن المسلمين أول ضحايا هذه الشعارات الخادعة وكانت النتائج مريرة لأننا فقدنا تحت هذه الشعارات الكثير والكثير من حزيتنا وكرامتنا لأننا كنا نتنازل عن حقنا . . ومن المعلوم أن الإسلام دعا إلى عدالة التوزيع . . والتكافل الاجتماعى . . والحرية . . والإسلام هو الذى أقر حقوق الإنسان بكل مضامينها وأهدافها وقد منح الله الإنسان هذه الحقوق وما ترتبط بها من مسئوليات، وعلى المسلم أن يطبقها على نفسه وأن يقيم ميزان العدل بينه وبين الإنسانية كلها . . ولكننا قد تركنا ما فى ديننا من قيم إنسانية الهدف وذهبنا ندعوا إلى قيم غيرنا وبلسانه لذلك اختل ميزان العدالة لأن غيرنا حدّده بأهداف بشرية وأطماع إنسانية . . لذلك كنا نحن أول الضحايا للاكتواء بنار الظلم لأنه (مَنْ أعان ظالما سلّط عليه) . .

إن المسلم اليوم يخشى لو دعا إلى دينه أن يُقال عنه (طائفى) أو هو داعية (للطائفية) . . أما غير المسلم فلا يقال عنه ذلك فأنت ترى أصحاب العقائد الأخرى والمذاهب الوضعية يمشون فى شوارع المجتمعات الإسلامية يوزعون ما يزعمون أنه كتب مقدسة . . كما أنهم يدخلون المستشفيات والسجون فى العالم الإسلامى ويدعون دعوة صريحة إلى معتقداتهم دون تردد أو مواربة فى الوقت الذى نرى فيه السينما والمسرح والتليفزيون يرفعون معاول الهدم فى القيم الدينية الأخلاقية ويسخرون من الرموز الإسلامية . . ترى أن بعض الدعاة المسلمين يعيشون وهم فى

شغل دائم يُسمون شغلهم قضايا الدعوة . . وشغلهم هذا عبارة عن خلافات حول بعض المناصب وصراعات حول ساعات حديثهم فى التليفزيون هل هى ساعات حيّة أم ميّتة وهكذا فأين أسلوب الحوار الذى يجب أن نتعلمه لندخل به إلى الساحات. . معاهدنا خالية من هذا اللون من التعليم الأمر الذى يجعلنا نطالب بإعادة النظر فى ترتيب الأولويات. .

ونحن نشهد بأعيننا أن العلمانيين اليوم يزحفون فى الأرض بأسلحة مدمرة وأفكار هدّامة . . ولكن كل المنحرفين يحتمون فى ظلال هذا النظام العلمانى ويغرسون فى نفوس الناس كراهية الإسلام ونبذ المسلمين وبسبب ذلك تفشّت الأمية الدينية بين جميع الفئات والطبقات.

ولقد علت صيحات متعددة وبعض هذه الصيحات يتجدد بين حين وآخر فى الساحة الإسلامية . . وهذه الصيحات تعلن أنه لا فرق بين القوميات العربية والإسلام ورويداً رويداً يتجه الأمر إلى إلغاء الإسلام والدعوة إلى القوميات العربية ثم ينسحب الأمر إلى أن نناقش قضايا الإنسانية وهكذا ندخل فى دوامة الأحاديث الجانبية وتنطوى تحت شعارات تضطرب فيها الموازين وثمار هذا الحصاد أن يزداد الصراع. . وتكون النتيجة لصالحهم بينما المسلمون يزدادون ضعفاً ووهناً. . ونحن نكتفى برفع الشعارات التى لا تبنى أمة ولا تنهض بالكيان الاجتماعى . . لهذا علينا أن نتنبّه وأن نأخذ الحذر علماً بأننا لسنا دعاة تعصب ولا نؤمن به لقول الرسول ﷺ **«من قاتل راية عَمِّيَّة يدعو إلى عصبية أو يغضب إلى عصبية فقتاله جاهلية»**[أخرجه مسلم والنسائى]. .

إننا نريد أن تكون العلاقة بين الناس علاقة أخوة . . نتعامل مع بعضنا جميعاً بنفس الروح روح الأخوة فلا نسخر من بعضنا ولا نستهزئ بأحد مهما كان وضعه. . ولا نخطط ضد بعضنا فى الظلام. . ولكن على المسلمين مع هذا أن يأخذوا حذرهم حتى لا يفاجئوا بتخطيط يقلب أوضاعهم ويدمر حياتهم وقد نبهنا ربنا إلى ذلك بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ** .. ﴿٧١﴾﴾[النساء] . . إننا ونحن

ندعوا إلى الحوار نريد أن ندخل إليه من موقف القوة. . وليس من موقف التخاذل أو التهاون لأن العزة للّه ولرسوله وللمؤمنين . . وعزتنا تكمن فى ديننا الواضح الصريح الذى يدعو إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. . يدعو إلى العمل والتخطيط والتنظيم مع القوة لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. . ونحمل بين أيدينا حضارة أمة قامت حضارتها بالحق والعدل وتبوءت مكانتها بالعمل الجاد والالتحام بالحضارات السابقة فى تناغم وتفاهم وعطاء بيد ممدودة بالتسامح والوفاء لكل مَنْ شيّدوا وعملوا فى صرح الإنسانية. .


الفصل الخامس
نماذج من أدب الحوار

الفصل الخامس
نماذج من أدب الحوار

القرآن الكريم كتاب الكون كله ساق لنا النماذج الكثيرة عن الحوار وكيف يكون. . والآداب المتعلقة به والأخلاق التى يجب أن يلتزم بها كل مَنْ يتحاور . . ويكون هدفه الوصول إلى حلول لقضايا عامة . . مع وضوح الهدف . . والقرآن ذكر قصة لامرأة حاورت النبى ﷺ (خولة بنت ثعلبة) حدث بينها وبين زوجها (أوس ابن الصامت) خلاف . . فظاهر منها . . والظهار أن يقول الرجل لزوجته (أنتِ علىّ كظهر أمى) والظهار مشتق من الظَّهر وكان عند الجاهلية طلاقاً . . فلما قال أوس لزوجته خولة ذلك . . اعتبرت نفسها (مُطلَّقة) واعتكفت عنه لكن أوساً دخل عليها يريدها فقالت له: كلاّ . . والذى نفس خولة بيده لا تخلص إلىّ ولا تعاشرنى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه . . وخرجت من بيتها متوجهة إلى رسول الله ﷺ وهناك جلست بين يديه وأخذت تشكو زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول. . يا رسول الله . . أكل مالى وأفنى شبابى . . ونثرت له بطنى . . حتى إذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منِّى . . اللهم إنى أشكو إليك . . ان افترقنا هلكنا . . فلم تبرح مكانها حتى نزل قول الله: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴿١﴾ ﴾[**المجادلة**] . . هذه قضية عرضتها المرأة على رسول الله ﷺ . . وإن كان فى ظاهر القصة إنها قضية خاصة . . إلاّ إنها قضية اجتماعية عامة. . من أجل ذلك نزل فيها تشريع واضح يُحدِّد المفاهيم الخاطئة . . ثم يُصححها . . ولهذا قال الله ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**... ﴿٢﴾ ﴾[**المجادلة**] . . فالظهار إذاً مؤسس على فهــم خاطــىء. . لأن الحقيقة كما يقــول القــرآن ﴿ .. **إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ** .. ﴿٢﴾ ﴾[**المجادلة**] . . والذى صدر من هؤلاء ما هو إلا محض افتراء لهذا يقول الحق: ﴿ .. **وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا**... ﴿٢﴾ ﴾[**المجادلة**] . . أى

أن كلامهم منكر وما كان يليق بالعقلاء أن يرددوا مثل هذا الكلام لأنه فحش وزور . . لكن بعض الناس الجهلاء يرددون مثل هذه العبارات . . فمن عاشر زوجته بعد أن ردّد هذه الألفاظ . . فهو يعيش فى حرام لأن المعاشرة بعد هذا اليمين للزوجة زنا وهو جريمة دينية اجتماعية يترتب عليها الكثير من المفاسد وتصاب الأسرة بالهزّات النفسية فيتصدع بنيانها وتنهار قيمها ولذلك حكم الله سبحانه بأن ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ③﴾[النور] وقد أوجب الله عقاباً على الزانى . . ونبّه على المؤمنين ألاّ يتعاملوا بالرحمة والشفقة مع الزناة بل على المسلمين أن يعاملوا الزناة بالقسوة والتشنيع وإعلان خبر الزناة على المسلمين ليعرفوهم ويطردوهم من بين صفوفهم ولا يسمحون لهم بالدخول إلى بيوتهم لأنهم جراثيم ضارة وحشرات فتّاكة تهدم قيم الدين والأخلاق وتهدر شرف العم والخال وتفسد الطباع النظيفة السليمة لذلك قال الحق سبحانـــه :﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ②﴾[النور] . . من أجل ذلك نرى أن الحق سبحانه وتعالى وضع علاجاً لقضية الظهار . . وهذا العلاج هو (تأديب الزوج) الذى شبّهَ زوجته بأمه والعلاج هو كما يقول الحق سبحانه : ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ④﴾[المجادلة] . .هذا شرع الله الذى شرعه لعباده . . حتى يعيش المجتمع نظيفاً . . والأسر متماسكة . . والعلاقات الاجتماعية قائمة على أسس من الفضيلة والعفة والطهارة . . إن الله سبحانه وتعالى يعفو ويغفر عن الذين يتورطون فى أى عمل أو يقعون فى جريمة . . وهم لا يعرفون . . وهو سبحانه وتعالى مطلع على عباده يعرف كل شىء بخبرة مُتناهية وحكمة دقيقة . . فلا تختلط عليه الأصوات ولا تتشابه الصور . . لذلك وضع مبدأ

الثواب والعقاب. . ولن يفلت أحد من قبضة الله لأنه سبحانه ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[طه] . . وهو سبحانه وتعالى يعلم ما فى الصدور ولهذا يقول سبحانه ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[آل عمران] . . تقول السيدة عائشة رضى الله عنها (الحمد للّه الذى وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبىﷺ ، تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول . . فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا .. ﴿١﴾ ﴾[رواه النسائى] . . لقد سمع الله قول هذه المرأة . . وهو سبحانه يسمع كل ما تنطق به الألسنة وما تهمس به الخواطر وما توسوس به النفوس والإخبار بسماع الله سبحانه لشكوى هذه المرأة لأنه سَيَرِدُ إليها اعتبارها والمضمون هو تنويه اللّه بشأن المرأة فهى إنسانة كرّمها الله فلا يليق بأى إنسان أن يستخف بها . . ويُضيِّع حقها ويُعرِّضها للضياع . . وقد احتفظ تاريخ النزول القرآنى باسم الرجل والمرأة . . لأن القضية عامة وتلمح عند قراءتك لمطلع السورة . . لفتة كريمة من رب كريم . . لأن المرأة اشتكت إلى رسول الله ﷺ وجادلته وحاورته . . ولم يجد الرسول ﷺ لها عنده جواباً شافياً لكن الله سبحانه وتعالى تطييباً لخاطر المرأة . . وحتى لا تضيع فى معترك الحياة . . فقد استجاب لها . . بعد أن سمع شكواها وطيَّبَ خاطرها وردّ لها اعتبارها وأنزل العقوبة الرادعة على مَنْ جار عليها وأراد أن يُبدِّد شملها ويُفسد عليها حياتها ويُخرجها من عُش الزوجية السعيد الذى يضمُّها ويضم أولادها وهذا فضل من الله عظيم على المرأة . . لأنك تجد بعد هذا التكريم للمرأة . . يُسفِّه رأى زوجها الذى ارتكب هذا المنكر معها وأراد أن يهدم البيت على رأس المرأة ويطردها وصغارها من العُش الذى يسكنون فيه .

إن المرأة المجادلة استطاعت بحسِّها المرهف وعاطفتها الشفَّافة أن تُنكر أسلوب الظهار فى شريعة هذا الدين الذى آمنت به . . وهذا يعنى أن الإسلام منحها الأمل فى حياة أسعد وآفاق أرحب وحياة مشرقة بعقل ينظم لها تفكيرها ويرفض الزور من القول والمنكر من العمل وقد رأت المرأة على ضوء عقلها وفكرها وإيمانها القوى بربها

وتصديقهاً لمنهج الدين . . أن أمراً كهذا لا يتفق أبداً مع سماحة الدين ويسره وما يتسم به من رحمة وعدل . . ولكنها لو كانت فى جاهليتها لما أنكرت بل هى تستسلم للأمر الواقع.

إن المرأة كانت تقول لرسول الله . . يا رسول الله إن أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة ذات مال وأهل . . حتى إذا أكل مالى وأفنى شبابى وتفرّق أهلى وكبُرت سنِّى ظاهر منىٍّ وقد ندم فهل من شىء يجمعنى وإيَّاه فتنعشنى به . . فقال ﷺ: «ما أراك إلاّ حَرُمتِ عليه» قالت : يا رسول الله . . والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً . . وإنه أبو ولدى . . وأحب الناس إلىّ . . وإنى إن فارقته وضَمَّ الأولاد إليه ضاعوا . . وإن أنا ضممتهم إلىَّ جاعوا!! فقال: «ما أراك إلاّ حَرُمتِ عليه ولم أومر فى شأنك بشىء» . . فتهتف من أعماق قلبها وتقول . . أشكو إلى الله فاقتى وحاجتى وسوء حالى . . وهنا نزل قول الله تعالى﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ... ﴿١﴾ ﴾[المجادلة] . .

هذا أسلوب فى الحوار عظيم . . نقدمه ليكون نموذجاً حياً وحتى يتبين لنا أن الحوار كما يكون فى القضايا السياسية . . هو كذلك فى القضايا الدينية . . وكما يكون فى قضية من مصالح الدنيا يكون فى القضايا الاجتماعية إلى غير ذلك من القضايا المتنوعة . . وهناك مثل آخر نقدمه بين يدى القارئ جاء فى صحيح البخارى.

ملك الروم .. وأبو سفيان

العرب كانوا تجَّاراً وأبو سفيان كان فى معظم أحواله . . يخرج على رأس قافلة كبيرة . . وقد كان فى تجارة بالشام فأرسل إليه (هرقل) ملك الروم يسأله عن (محمد) الذى يدّعى النبوة . . ذلك لأن رسول الله ﷺ بعد صلح (الحديبية) فى العام السادس من الهجرة. . انتهز فرصة الهدنة بين المسلمين وقريش . . وأرسل رسائل إلى ملوك الدول ورؤساء الأمم يدعوهم فيها إلى الإسلام وكان من الذين أرسل إليهم هرقل ملك الروم ونص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم . . من محمد عبدالله ورسوله . . إلى هرقل عظيم الروم . . سلام على مَنْ اتبع الهدى . . أما بعد . .

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . . أسلم تسلم يؤتك اللَّه أجرك مرتين . . فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيِّين[1] و ﴿ . . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾[آل عمران] . .

هذه الرسالة عندما وصلت إلى هرقل وقرأها وفهم فحواها أمر جنده أن يبحثوا له عن رجل يكون من أهل مكة ليسأله عن أحوال هذا النبى الذى أرسل هذه الرسالة . . وتصادف أن كان أبو سفيان ومعه بعض مشركى مكة فى تجارة لهم بالشام فأخذهم الجند جميعاً إلى الملك الذى كان يقيم بـ (إيلياء)[2]، ولما وقفوا بين يديه سألهم بواسطة (ترجمان) .

أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟

فقال أبو سفيان : أنا . . (وكان ما زال كافراً) .

فقال هرقل : أدنوه منِّى . . واجعلوا أصحابه عند ظهره . . ثم قال لأبى سفيان إنى سائلك عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى . . وقال لأصحاب أبى سفيان . . إن كذب فكذبوه . . وكان أول سؤال سأله هو . . كيف نسبه فيكم؟

قال أبو سفيان : هو فينا ذو نسب .

قال هرقل : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قال أبو سفيان : لا .

قال هرقل : هل كان من آبائه مَنْ مَلَك؟[3] .

قال أبو سفيان : لا .

---

(١) أى الفلاحين .
(١) بيت المقدس .
(٢) أى كان ملكاً .

قال هرقل: أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

قال أبو سفيان : ضعفاؤهم.

قال هرقل . . : أيزيدون أم ينقصون؟

قال أبو سفيان : بل يزيدون.

قال هرقل: فهل يرتد منهم أحد سخطة لدينه[1] . . بعد أن دخل فيه؟

قال أبو سفيان : لا.

قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قال أبو سفيان: لا.

قال هرقل: فهل يغدر؟

قال أبو سفيان . . لا . . ونحن معه فى مدة صلح الحديبية لا أدرى ما هو فاعل فيها. .

قال هرقل: فهل قاتلتموه؟

قال أبو سفيان : نعم.

قال هرقل: فكيف كان قتالكم إيّاه؟

قال أبو سفيان : الحرب بيننا وبينه سجال. . ينال مِنّا وننال منه.

قال هرقل: فبماذا يأمركم؟

قال أبو سفيان: يقول . . اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وأتركوا ما كان يعبد آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

قال هرقل للترجمان: قل لأبى سفيان ومَنْ معه.

(١) أى كراهية للدين الجديد.

إنى سألتك عن نسبه . . فذكرت أنه فيكم ذو نسب . . وكذلك الرسل تُبعث فى نسب قومها . . وسألتك . . هل قال هذا القول أحد منكم قبله . . فذكرت أن لا . . فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول قيل من قبله . . وسألتك : هل كان فى آبائه مَنْ كان ملكاً فذكرت أن لا . . وأقول لو كان فى أبائه من كان ملكاً لقلت . . رجل يطلب ملك أبيه . . وسألتك . . هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: فذكرت أن لا . . وما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . . وسألتك أأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم اتبعوه . . فذكرت ضعفاؤهم . . وكذلك أتباع الرسل . . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون! . . وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . . وسألتك . . أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا . . وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . . وسألتك . . هل يغدر . . فذكرت . . أن لا . . وكذلك الرسل لا تغدر . . وسألتك . . بماذا يأمركم فذكرت . . أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

قال هرقل: إن كان ما تقول حقاً يا أبا سفيان . . فإن محمداً سيملك موضع قدمى هاتين . . وقد كنت أعلم عن طريق الكتب الدينية أن نبياً سيظهر . . ولم أكن أظن أنه منكم . . فلو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه . . ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . . أى لأطعته طاعة تامة . . أ. هـ.

هذا حوار دار بين أطراف ليسوا من بلد واحد ولغتهم مختلفة وأبطال هذا الحوار ليسوا مسلمين . . لكنهم عقلاء لأن حوارهم دار على الصدق والموضوعية . . والبحث عن الحقيقة والوصول إليها دون اتباع الهوى أو التعصب المذموم . . لهذا كان ثمار الحوار طيباً . . والعاقبة حميدة . . لأن الجميع انتهوا إلى . . أن محمداً ﷺ صادق أمين فيما يُبلِّغ عن ربه . . هناك حوارات كثيرة فى كتب الأحاديث والسُّنة النبوية وهى كلها دارت بالمنطق السليم والعقل الرشيد والرأى السديد والإخلاص فى طلب الحق والبحث عنه . . لذلك نحن نرشد أن مَنْ يريد أن يتعلم أدب الحوار فليتجه إلى القرآن الكريم والسُّنة النبوية ففيهما زاد طيب وأسلوب رصين منهما يتعلم الإنسان ويهتدى إلى أفضل طريق وصدق رسول الله ﷺ **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً .. كتاب الله وسُنتى»**.

وبعد ..

نظراً لأن المسلمين لم يحسنوا مخاطبة غيرهم ومحاوراتهم وتقديم الإسلام إلى المجتمع الدولى بصورته الجميلة وأحكامه العادلة ونظرته الشمولية إلى الأشياء وحث أتباعه على العلم وتملّك زمام المبادرة فى استصلاح الأراضى واستخراج المياه الجوفية والانتفاع بما فى الكون من كل شىء فأدى ذلك إلى أن العالم الدولى بدأ ينظر إلى الإسلام نظرة مريبة لأن معتنقية تخلّفوا عن ركب التقدم وليست لديهم القدرة الكافية على مواجهة التطور والتقدم فى كافة الأشياء فهذا دليل على أن الإسلام حَجَرَ على عقولهم لذلك أصبحوا فى ذيل القافلة وهم يستحقون ذلك لأنهم نشروا الإسلام بالسيف ولذلك فهم يحتضنون الإرهاب بسبب تطرف فكرهم . . هذه النظرة الخاطئة سيطرت على كثير من قادة العالم ومفكريه والمسلمون من غمرة انشغالهم باختلافهم مع بعضهم فى بعض الآراء الجانبية الهامشية وعدم تمكّنهم من صياغة خطاب يلائم الفكر المتطور ويبين رأى الإسلام بوضوح مع الأدلة والبراهين . . فلما حدث ذلك صدّقت جماهير الشعوب هذا الكلام واعتبرته حقيقة . . فالعيب فى سوء الفهم الذى نشأ ليس من أعداء الإسلام وإنما من المسلمين أنفسهم لأنهم من اختلافهم مع بعضهم فى آراء هامشية وعدم قدرتهم على صياغة الخطاب الذى يشرح الإسلام ويُبيّن أهدافه ومراميه وأن يتنوع الخطاب بتنوع المتلقين . . ثم إن الإعلام الذى أصبح لا يتوقف على البث المسموع والمرئى لم يفسح المجال للعلماء المتميزين بأصالة الفكر وغزارة العلم أن يقدموا ما لديهم لأنهم غير مرغوب فيهم . . وترتب على ذلك أن تقدم مَنْ لم يُحسنْ عرض الإسلام . . ومراجع ذلك إلى عدم قدرة المؤسسات الإسلامية على الاتصالات بالجهات المعنية بالإعلام وتقديم البرامج المرشّدة المعدّة بإتقان وبلغة كل الناس مع جمال اللفظ ووضوح المعنى وعذوبة الكلمات ورقتها . . إنه ليس بعيب أبداً أن نواجه عيوبنا ونعلن أننا فى حاجة ماسة إلى إعادة صياغة العقل وترتيب الأولويات والتدريب على فن الحوار ونحن أمة ما أكثر الجامعات التى تقع على أرضها . . لكن علينا أن نطالب بإعادة النظر فى المناهج التربوية التعليمية لأن الواضح من المنهج أنه ملىء

بالحشو دون المضمون. . الأمر الذى أصبح واضحاً أن عقول المسلمين باتت محشوة بمعلومات لا تُسمن ولا تُغنى من جوع حيث إن الكثير منهم يحفظ عناوين الأغانى وواضعوا موسيقاها وعناوين المسرحيات والأفلام وأسماء الراقصين والراقصات . . فإذا ما سألت بعض المسلمين عن أسماء الرموز الإسلامية التى وضعت مفاتيح العلم وأرست دعائم النهضة الحضارية وأسهمت بنصيب وافر فى تنوير العقول وتثقيفها ترى أن كل ذلك غائب عن عقول الكثير من المسلمين. . الأمر إذاً يتطلب وضع خطة ملائمة لإعادة صياغة العقل الإسلامى وترتيب الأولويات ولذا بات مقرراً أن المسلمين اليوم مُطالبون أن يُهيئوا أبناءهم للمستقبل لأنهم غداً قادة الوطن وحماته وأرباب الفكر فيه مع إدراكنا بأنه لكل زمان رجاله . . وأن الأبناء خُلقوا لزمان غير زماننا. . إن الحوار مع الحضارات له أثره الفعال لأن المسلم ينزل إلى حلبة الحوار وهو شامخ الرأس فبين يديه حضارة تعاملت مع جميع الحضارات بالتسامح والإنصاف والعدل مع الاعتراف بكل جهد بنى حجراً فى صرح الحضارة. . والإسلام لم يغفل أن الخلاف طبيعة البشر لكنه يؤكد على أنه لا يصح إلا الصحيح ولا يدوم إلاّ الحق وصدق الله العظيم : ﴿ .. فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ.. ﴿١٧﴾ ﴾[الرعد] . . لهذا وجه الإسلام أتباعه إلى أسلوب حسن متميز نطلق عليه (فن التعامل مع الجماهير) لأن بقاء أى أمة رهين بتآلف القلوب وهى لا تأتلف إلاّ على الحق لأنه ما كان للّه دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل . . والناس لو اختلفوا فتحاوروا فيما اختلفوا فيه بدافع من الحرص على إظهار الحق . . وعدم اتباع الهوى . . لبات كل عن أخيه راض . . لأن الاختلاف وعدم الانصياع إلى الحق والتعصب الأعمى للرأى وافتقاد الحوار البناء والبعد عن آدابه وأخلاقياته يؤدى ذلك إلى التفرق والتمزق وسقوط الدولة نتيجة لما أصاب أبناءها. . لهذا قال الحق سبحانه: ﴿ .. وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال] . . ويقول سبحانه: ﴿ ..وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الروم] . . إنه لكى نرد على افتراءات ومزاعم الذين يُسيئون إلى الدين وعلمائه وأتباعه علينا أن ننهض نهضة مُرشّدة لأننا نمتلك أعظم ثروة

إنها كتاب الله سبحانه الذى نزل على أمة متفرِّقة فوحَّد صَفّها وعلى أمة لا كيان لها فجعلها خير أمة أخرجت للناس وعلى أمة مُتصفة بالأنانية فغيّر أخلاقها وجعلها أمة رائدة فى الإيثار.. إن القرآن نزل على أمة جاهلة فتعلموا منه فن الحياة فأصبحوا علماء حكماء إنساحوا فى الدنيا ومعهم كتاب الله وهدى رسوله فأضاءوا ظلام المجتمع الإنسانى وتحول هؤلاء من رعاة غنم إلى قادة أمم ومن مجتمع متخلف إلى مجتمع يسود العالم بالحكمة المتّزنة والعقول المتفتحة والسماحة واليسر ولأصالتهم لم يذوبوا فى أى مجتمع فتحوه لأن فيهم حصانة دينية وعزيمة قوية واستيعاب لأى حضارة ومقارنتها بما يهدف إليه الإسلام ويبتغيه فوجدوا أن ما فى الإسلام أعظم وأكمل وأحسن لأنه صبغة الله وهديه إلى خلقه .. ولك أن تتعجب أن المسلمين عندما انساحوا فى الأرض وفتحت لهم الشعوب أبواب بلادها لم يحاولوا طمس هوية الشعوب ولا العمل على إذابة شخصية أفراد البلاد المفتوحة ولا القضاء على أى حضارة ولا تشويه أى لغة وإنما المسلمون تعاملوا بالعدل والإنصاف والرحمة والعطف وقرءوا على سمع الزمن كل ما تعلّموه من توجيهات القرآن وهدى النبى محمد ﷺ فقد قال الحق سبحانه مُعلِّماً المسلمين أن يقولوا لغيرهم فى حوار يتسم بالموضوعية وعدم الخروج عن الموضوع المطلوب شرحه وتوضيحه ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران].. فى نفس الوقت تعامل المسلمون بالتسامح مع أتباع أى ملّة أو إذا تمسَّك الناس بأى عقيدة فلا إكراه لأى أحد على تركها واعتناق الإسلام وإنما علّم الإسلام أتباعه أن يقولوا ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...** ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف] .. ويُعلِّم المسلمين كذلك أن يقولوا لغيرهم ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴿٦﴾ ﴾[الكافرون].. إن الناس عليهم أن يتعايشوا مع بعضهم فى أمن وسلام ليتمكنوا من إسعاد أنفسهم وإدخال السرور على الجميع .. لهذا وجّه الإسلام إلى الحوار وضرب لنا الكثير منه فى القرآن الكريم الذى هو :﴿ .. **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴿١﴾ ﴾[هود].. فى نفس الوقت ﴿ .. **فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴿٢﴾ ﴾[البقرة] .. لأن

فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا . . هو الفصل ليس بالهزل. . من قال به صدق ومن حكم ما بيننا . . هو الفصل ليس بالهزل. . من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم . . لقد أرشد اللّه المسلمين أن يتخيّروا فئة من بينهم هذه الفئة تعكف على دراسة ما يجرى على ساحة المجتمع الدولى . . بعد أن يُقسَّم المجتمع الدولى بحسب لغاته . . ثم يتخصص كل فريق فى دراسة بيئة معينة مثل المناخ الاقتصادى . . الحالات الاجتماعية . . الاتجاهات السياسية إلى غير ذلك مما تلزم دراسته مع دراسة السيرة النبوية وتاريخ المسلمين طوال فترة المرحلة التاريخية وما هى العقبات التى صادفت الإسلام فى مسيرته . . والتهم التى ألصقت به والافتراءات التى روّجها أعداء الإسلام ضدّه وكل ذلك يسبقه حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً مع معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وإلمام بمدارس علماء التفسير والمذاهب الإسلامية وكيف نشأت والفرق والملل والنحل التى ظهرت وقامت فى المجتمع الإسلامى والأسباب الخفية التى كانت وراءها والأيدى المحركة لها. . وهذه الفئة تعكف على دراسة كل ذلك ثم تنطلق باسم الله هاديـــة داعية باسم الحق ومن أجل الحق وشعارهـــم ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل] . . وإرشاد الله للمسلمين لتكوين هذا الفريق قوله سبحانه: ﴿ .. فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة] . .

وبهذا الأسلوب الذى أرشدنا إليه القرآن ونبهنا إلى أن ننتهجه حتى نقوم بتوصيل رسالة الله إلى خلقه لأننا الأمناء عليها. . وإذا نحن حافظنا على هذه الأمانة وأدينا الواجب لها كما هو مطلوب نصرنا الله وأيّدنا وعلى طريق الخير والحق ثبّت أقدامنا لأنه سبحانه القائل: ﴿ .. إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[محمد] . ويقول سبحانه : ﴿ .. وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج] . . أما إذا تخاذلنا عن آداء الواجب لنصرة دين اللّه والنهوض به فالأمر فى القرآن واضح. . لأن الحق لابد له أن يكون له رجال فى كل زمان ومكان عندهم صدق لنصرة دين الله ولديهم وفاء يتمسكون به . . فإن تغيّر الحال وتبدّل فقد قال الحق

سبحانه: ﴿ .. وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ ﴾[محمد]
لهذا نحن نهيب بالمؤسسات الإسلامية وبالغيورين على دين اللّه أن يتفقوا ولا يختلفوا.. ويتعاونوا على البر والتقوى.. وأن يجعلوا الحوار مبدأهم وهدفهم وتصحيح مسار الإنسانية كذلك وأن يتصفوا بالسماحة والعدل ومكارم الأخلاق لأن تأثير أفعال الداعية فى قلوب سامعيه والمدعوين أعظم أثراً من قوله لذلك قيل (فعل رجل فى ألف رجل .. خير من قول ألف رجل لرجل)..

الخاتمة

إن المسلمين أصحاب دعوة تقوم على الوضوح والصراحة لأنهم يدعون إلى الله على بصيرة فى نفس الوقت دعوتهم تقوم على حفظ السلام ونشر الأمن والأمان ونبذ التطرف والإرهاب والمجادلة بالحسنى وعدم التعصب لأن الرســـول ﷺ يقــول : «**ليس منّا مَنْ دعا إلى عصبية**» كما أن المسلمين دعوتهم تقوم على الحوار وعرض الرأى والاستماع باهتمام إلى الرأى الآخر . . وعدم تقليل شأن أى إنسان أو احتقاره مهما كان لأن الحق سبحانه وتعالى علّم المسلمين عدم السخرية من أى إنسان مهما كان وضعه كما جاء فى قوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ** .. ﴿١١﴾ ﴾[**الحجرات**] . .

إن الإسلام علّم أتباعه وأرشدهم إلى أن يهتموا بالثقافة العامة وأن يتعلموا لغة المجتمع الدولى ليستطيعوا مخاطبة الناس بلغتهم مع دراسة الاتجاهــات العامــة لهــذا قــال اللّه مُوجِّهاً ومرشداً ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**..﴿٤﴾ ﴾[**إبراهيم**] وأن الداعى عليه أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وأن يخاطب كل فئة بما تفهم . . فللعمال لغتهم. . وللتجار ثقافتهم . . وللمعلمين والموظفين أسلوبهم لأن الحصافة من المحاور أن يتعرف على مشاكل المنطقة التى سيتم فيها الحوار وأن يخاطب الناس بما يفهمون لأن الرائد الأول للدعاة يقول «**أُمرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم**» .

إن المجتمعات الإنسانية اليوم فى حاجة إلى ما يُعيد إليها أمنها واطمئنانها ولن تجد الإنسانية أفضل من الإسلام الذى هو صمام أمن للمجتمعات يُبعد عنها شبح الخوف والاضطراب وفقد الثقة . . إن الإسلام يُعيد إلى المجتمعات توازنها وله فى ذلك سابقة وسوابق عندما احتكم الناس إلى نظمه وهديه وتعليماته فوجدوا فيه العدل

الشامل والسماحة التامة والحرية الكاملة والاحترام المتبادل لذلك استظلت الإنسانية بظل الإسلام ردحاً من الزمن فسعدت البشرية وانطلقت إلى غايتها وهى آمنة على نفسها فى يومها وغدها وذهب الخوف من دنيا الناس حتى كان الشخص ينتقل بحرية تامة وكرامة مُصانة فلا يعترضه أحد ولا يصدّه آخر ما دام هو عنصر أمن وسلام.. لايُفسد فى الأرض ولا يُخرِّب عماراً ولا يعتدى على أى شيء لأنه وقر فى نفسه ما قاله الحق ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا .. ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف] فهو يحافظ على البيئة ولا يلوث المكان ولا يضع العقبات فى الطريق العام ولا يلوث سمع الآخرين بالكلمات النابية والألفاظ المستهجنة وإنما هو ممن قال فيهم ربنا ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان].. لذلك نحن ننادى على المسلمين ونقول لهم انصروا دين الله لينصركم الله (وأقيموا دولة الإسلام فى أنفسكم لتقم شريعته على أرضكم وتستظل الإنسانية بسماحته وعدله) وننادى على عقلاء الإنسانية ومفكريها ومصلحيها والذين ينشدون للمجتمع الدولى الأمن والسلام.. تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وادرسوا النظم الإسلامية وليكن مرجعكم .. كتاب الله .. وهدى رسوله ﷺ وإن اشتبه عليكم شيء أو تشككتم فى شيء فليكن بيننا وبينكم حوار وأن كل واحد منّا عليه أن ينصاع للحق ويتبع طريقه حتى نخدم الإنسانية ونُهىء لها من أمرها رشداً ونقضى على حدّة الصراع الذى أصبح معول هدم لما شيّدته يد الإنسان بل إن هذا الصراع هو السبب المباشر فى إيجاد شبح الخوف والاضطراب وبسبب ذلك تأخر الإنتاج فى مستلزمات الإنسانية لحياته اليومية فظهر الجوع فى أماكن وانتشرت الأمراض فى أماكن وعمّت الاضطرابات فى أماكن.. وقامت الحروب الأهلية بين سكان البلد الواحد وترتب عليها إيجاد جيل مشوّه مبتور الأذرع أو الساقين علاوة على التشرد وافتراش الأرض والتحالف السماء.. وعيب كبير أن يحدث هذا فى وقت تزعم فيه بعض الدول أنها بلغت درجات العلم ومُنتهاه وهذه الدول المتقدمة تقيم موازين مقلوبة للناس وتكيل بكيلين وتتخاطب بلسانين لهذا اختل ميزان العدل فى المجتمع وبات مقرراً إن لم تنصلح موازين القوى ويهتم المفكرون والمثقفون

لتصحيح الأوضاع والاحتكام إلى العقل والتعامل بميزان واحد فلا عاصم من أمر اللّه إلاّ من رحم.. لهذا بات علينا لزاماً أن نتعلم أدب الحوار ونتعرف أسلوبه وأهدافه حتى نستطيع أن نضع أقدامنا على الطريق الصحيح، واللّه من وراء القصد هو حسبى عليه توكلت وإليه أنيب.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأطهار والأبرار.

منصور الرفاعي عبيد
وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن سابقاً

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

المؤلف فى سطور

- الشيخ منصور الرفاعى عبيد.
- ولد فى قرية محلة زيّاد - مركز سمنود - محافظة الغربية عام ١٩٣٢ .
- درس بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين . . جامعة الأزهر.
- عمل بوزارة الأوقاف وشغل العديد من المناصب آخرها . . وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن.
- له إسهامات متعددة فى النشاط الاجتماعى من خلال الجمعيات الخيرية.
- متحدث بالإذاعة والتليفزيون وله مقالات بالمجلات والجرائد.
- مشارك فى كثير من المؤتمرات العلمية فى داخل البلاد وخارجها.
- مشارك فى كثير من دول الأعمال الشعبية ولجان المصالحات.
- سافر إلى الكثير من دول العالم لحضور المؤتمرات العلمية.
- عضو بالمجالس القومية المتخصصة شعبتى الرعاية الاجتماعية . . والشباب والرياضة.
- عضو اتحاد الكُتّاب.
- عضو مجلس الشعب فى دورات سابقة.
- حاصل على الكثير من الدروع والميداليات وشهادات التقدير من هيئات وجامعات ووزارات.
- ورد اسمه فى الموسوعة القومية للشخصيات البارزة والتى صدرت عن هيئة الاستعلامات عام ١٩٨٩ .
- حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- له أكثر من ستين مؤلفاً.

هذا الإمام

للشاعر / محسن محمد عبد ربه

منح السيد رئيس الجمهورية وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى لصاحب الفضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد - وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن- وفى حفل تكريم أقيم بقرية محلة زياد .. وقف الشاعر المجيد ليعبر عن مشاعره وأحاسيسه بهذه الفرحة .. ولقد كان الجمهور يقدم للشاعر التعزية فى وفاة والده ولكن ذلك لم يمنعه الحضور والمشاركة بهذه القصيدة.

طوبى لجودك يا أخا الإسلام ... كنت النصير لنا على الأيام
يا شيخنا منصور يا رمز العلا ... بحر الوفاء وكوكب الإنعام
أثلجت صدرى ، حين جئت معزيا ... قلبى ، لفقدى منبع الإلهام
وشرحت لى ، ما كان يقطعه أبى ... كى يهدى الأحباب خير سلام
طمأنتنى ، وهديتنى ، أرشدتنى ... للحق ، يعبر محنة الآلام
وأخذتنى للنور يا زهر المنى ... أسمو على خطبى ، مع الإقدام

* * *

يا عالما ، قطع الفيافى صابرا ... كى ينشر الإسلام ، فى استلهام
أحببت طه المصطفى ، نبع الصفا ... كم زرت روضته ، مع الأعلام
وبكيت ، من شوق الفؤاد لنوره ... طه الطبيب ، ونور كل ظلام
طوفت فى شرق البلاد وغربها ... تدعو لسنته ، بعزم همام
أ إمامنا منصور ، يا أستاذنا ... تزهى بعلمك صفوة الأقلام
أ إمامنا منصور ، يا فخر الدنا ... يا نور فجر مشرق بسام

* * *

قلدت تشريفاً وسام علومنا ... وفنوننا ، يا رافعا للهام
طبقاته الأولى ، على مصر الوفا ... مصر الأبية ، واحة الأحلام
ورئيس دولتنا يقلد شيخنا ... هذا الوسام ، بعزمه المقدام
هذا الإمام ، بعلمه وبفكره ... أرسى دعائم مجد عز ، سام
يا شمس دولتنا ، تألق نورها ... تمحو بعلمك عهد الاستسلام
وأضاءت مصباح العقول بهديكم ... حتى تكامل نورها المتسامى

محسن عبد ربه

تهنئة

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ منصور الرفاعى عبيد لفوزه فى الانتخابات بعضوية مجلس الشعب مايو ١٩٨٤

قالوا : لمن تلك المهابةُ والفخامةُ والجلالْ ؟
ولمن ترفرفُ تلكمُ الراياتُ نشوى فى دلالْ ؟
ولمن تغرد كلُّ أسراب الطيورِ بلا كلالْ ؟
قلتُ الوجودُ مشاركٌ فىَ بلدتىَ / نصرَ الهلالْ

* * *

واليوم تبتهجُ النفوسُ بفوز نائبناً الفضيلْ
منصورَ أيــدهُ الألهُ بنصره النصــرَ الجميــلْ
ليمثلَ الشعبَ الحبيبَ بمجلَسِ الشعبِ النبيلْ
فهو الجديرُ بنصرهِ فالشكرُ للمولىَ الجليلْ

* * *

منصورُ أيدك الإلهُ فسرْ بنا وإلــى الأمــامْ
واجعلْ حياتك لَلألى جعلوكَ بالثقة الإمامْ
واجعلْ بصدركَ ساحة للكلِّ يزحمُهاَ الوئامْ
فلقد غدوتَ عميدَنا وعميدَنا شهمٌ همامْ

* * *

منصور بلدتكَ الحبيبةُ فى اشتياقٍ من سنينْ
آن الأوانُ وقد نجحتَ فكنْ بها َالبرَّ الأمينْ
تخذتك عُدَّةَ عمرها وهبتكَ حبَّ المخلصينْ
فانَهضْ بهـــا وبأخَوةٍ بغـــدٍ كريمٍ يحلمون

* * *

منصورِ مهما صفتُ من حلوِ القصيدِ أو النشيدْ
فلأنتَ فوقَ فرائد الكلِمَ المُنَمَّقِ والنضيدْ
ولأنت شمسُ نهارناَ والبدرَ فيِ غدَنا السعيدْ
واللهَ ندعُو أن يُعَيَنَك كى تحققَ مَا ترِيــدْ

محمد الشهاوى
وكيل وزارة الإعلام - قطاع التليفزيون

رقـم الايـــداع :
٢٠٠٣ / ١٤٣٣٩
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 279- 8

مطـابع آمــــون

٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦